باب الصمت

كان اعرابى يجالس الشَّعْبِيَّ يُطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته فقال : أسمع فأعلم ، وأسكت فأسلم. وقالوا : لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . وقالوا : مقتل المرء بين لَحييه وفَكَّيْهِ . وأخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطرف لسانه وقال : هذا الذى أوردنى الموارد . وقالوا : ليس شيء أحق بطول سجن من لسان . وقالوا : اللسان سَبُعٌ عقور

وقال النبي ﷺ « وهل يُكب الناسَ على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم ؟ »

وقال ابن الاعرابى عن بعض أشياخه : تكلم رجل عند النبي ﷺ فخطل فى كلامه فقال النبي ﷺ « ما أعطىَ العبدُ شراً من طلاقة اللسان »

وقال العايشي وخالد بن خداش (١) حدثنامهدى بن ميمون عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه . قال : قَدِمنا على رسول الله ﷺ فى وفد فقلنا : يارسول الله ، أنت سيدنا وأنت أطولنا علينا طولا ، وأنت الجفنة الغراء . فقال النبي ﷺ « أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزنكم الشيطان ، فانما أنا عبد الله ورسوله »

وقال خالدُ بنُ عبد الله القَسْرِيُّ لعمر بن عبد العزيز رحمه الله: من كانت الخلافة زانته فقد زنتها ، ومن شرفته فقد شرفتها ، فأنت كما قال الشاعر :

وتَزِيدينَ أطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً ... إنْ تَمَسَّيهِ ، أين مثلك أينا

واذا الدرُّ زان حُسنَ وُجُوهٍ ... كان للدر حُسنُ وجهك زينا

قال عمر : ان صاحبكم أعطى مَقولا ولم يعط معقولا . وقال الشاعر :

لسانُك مَعْسُولٌ ونفسك شَحَّةٌ ... ودُون الثُّرَيَّا مِنْ صَدِيقِك مالكا

---

(١) كان فى الاصل خالد بن حداس وهذا خطأ ، والصواب ما أثبتناه . وهو خالد بن خداش بن عجلان، يكنى أبا الهيثم، وكان مولى المهلب بن أبى صفرة . توفى سنة ٢٢٣ هـ ٨٣٧ م

وأخبرنا باسناد له ان ناساً قالوا لابن عمر : أدع الله لنا بدعوات . فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا. فقالوا: لو زدتنا يا أبا عبدالرحمن؟ قال: نعوذبالله من الاسهاب .

وقال أبو الاسود الدؤلى فى ذكر الاسهاب ـ يقولها فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة ، والحارث هو القُبَاع،وكان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم، وإنما سمى القُباع لأنه أتى بمكتل لاهل المدينة فقال:ان هذا المكتل لقباعٌ. فسمى به . والقُباعُ الواسع الرأس القصير . وقال الفرزدق لجرير :

وقبْلَكَ ما أعْيَيْتُ كاسِرَ عينِه زِياداً فلمْ تقْدِرْ عَلىّ حبائِلهْ

فأقْسمتُ لا آتيهِ تِسْعينَ حِجَّةً ولو كُسِرَتْ عُنقُ القُباعِ وكاهِلهْ

ـ قال أبوالاسود :

أمِيرَ المؤمِنينَ جُزيتَ خيراً أرِحْنا منْ قُباعِ بَنى المُغيرَه

بَلوْناهُ فلمْ نَرَ فيهِ عَيْباً عَلَيْنا ما يمرُّ لنا مريره(١)

على أنّ الفتى نِكحٌ أكُولٌ ومِسْهابٌ مذاهبه كثِيره

وقال الشاعر :

إيّاكَ إيّاكَ المِرَاءَ فانّهُ إلى الشّرّ دعّاءٌ وللشّرّ جالبُ

وقال ابو العتاهية :

والصّمتُ أجملُ بالفتى مِن منْطِقٍ في غير حينِهْ

كلُّ امْرئٍ في نفسِهِ أعلى وأشرَفُ من قرينه

وكان سَهل بنُ هرون يقول : سياسة البلاغة أشد من البلاغة ، كما أن التوقى على الدواء أشد من الدواء . وكانوا يأمرون بالتبين والتثبت ، وبالتحرز من زلل الكلام ، ومن زلل الرأى ، ومن الرأى الدَّبرى . والرأىُ الدَّبرىُ هو الذى يعرض من الصواب بعد مُضى الرأى الاول وفوت استداركه . وكانوا يأمرون

(١) فى الاصل:ما يمر لنا هريرة ، وليس بذاك والصواب ما أثبتناه . ومعنى ما يمر مريره : أى أنه غير محكم فى ما وليه من الامر

بالتحلم والتعلم ، وبالتقدم فى ذلك أشد التقدم . وقال الاحنف (٢) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا . وكان يقول رضى الله عنه : السؤدد مع السواد. وأنشدوا لكثير عزة :

وفى الحلم والإسلام للمرء وازعٌ ... وفي تركِ طاعاتِ الفؤادِ المتيم

بصائرُ رُشدٍ للفتى مُستبينةٌ ... وأخلاقُ صِدْقٍ علمُها بالتعلّم

الوازع : الناهى ، والوزعة جمع وازع : وهم الناهون الكافّون

وقال الافوه الاودى :

أضحتْ قرينةُ قد تغيرَ بِشْرُها ... وتجهّمت بتحيّة القوم العدا

ألوت بأصبعها وقالتْ إنّما ... يكفيك ممّا لا ترى ما قد ترى

وأنشد:

إبدأ بنفسك فانهَها عن غيّها ... فإذا انتهت عنهُ فأنتَ حكيم

فهُناكَ تعذرُ إن وَعظتَ ويُقتدَى ... بالقولِ منكَ ويُقبلُ التعليمُ

قالوا : وكان الاحنف أشد الناس سلطانا على نفسه . وكان الحسن أترك لما نهى عنه . وقال الآخر :

لا تعذِراني في الإساءة إنّهُ ... شرُّ الرّجالِ من يُسيءُ فيُعذرُ

وقال الكميت بن زيد الاسدى :

---

(٢) الاحنف : هو الاحنف بن قيس ، ويقال أن أسمه الضحاك أو صخر ، ويكنى أبا بحر ، وبه يضرب المثل فى الحلم والسيادة ، وكان رسول الله ﷺ قد بعث الى قومه يدعوهم الى الاسلام فلما لم يجيبوا قال لهم الاحنف : إنه يدعوكم الى الاسلام والى مكارم الاخلاق، وينهاكم عن ملايمها. فأسلموا وأسلم. ولم يفد فيمن وفدوا على النبى،حتى اذا كان عهد عمر وفد عليه ، وبعثه عمر الى خراسان فبيتهم العدو ليلا فكان أول من ركب الاحنف وهو يقول : ان على كل رئيس حقاً * أن يخضب الصعدة أو تندقا * ثم حمل عليهم فقتل صاحب الطبل وانهزم القوم ومضوا فى آثارهم حتى فتحوا مرو الروذ فى خلافة عثمان . ثم شهد صفين مع على كرم الله وجهه ، وكان سيد تميم فى عهد معاوية . ثم خرج مع مصعب بن الزبير الى الكوفة فمات وقد كبر جداً وكانت وفاته فى سنة ٦٩ هـ ٦٨٨ م

ولم يقُـل بعد زلّةٍ لهمُ عند المعاذير إنّما حسبُوا

وأنشد الأحوص بن محمد :

قامت تخاصرني بقنّتها خَودٌ تأطّرُ غادةٌ بكرُ

كلٌّ يَرى أنّ الشّباب لهُ فى كلّ مبلغِ لَذّةٍ عذرُ

تخاصرنى : آخذ بيدها وتآخذ بيدى . والقُنة : المواضع الغليظة من الارض فى صلابة . الخود : الحسنة الخلق . تأطر : تثنى . والغادة : الناعمة اللينة

وقال جرير فى فوت الرأى :

ولا يتّقون الشّرّ حتى يصيبهم ولا يعرفُونَ الأمرَ إلا تَدَبُّرا

ومدح النابغة ناسا بخلاف هذه الصفة فقال :

ولا يحسَبُونَ الْخير لا شرّ بعده ولا يحْسبُون الشّرّ ضربةَ لازب

اللازب واللازم واحد ، واللازب فى مكان آخـر : اليابس ، قال الله عز وجل : « من طين لازب » واللزَباتُ : السنون الجدبة

وأنشد :

هنا هَفوةٌ كانت من المرء بدعةً ومَا مِثْلُهُ عَنْ مِثْلِهَا بِسَلِيمِ

فإنْ يَكُ أخْطَا فِى أخِيكُمْ فرُبَّمَا أصَابَ الَّتِى فِيهَا صَلاَحُ تَمِيمِ

وقال قائل عند يزيد بن عُمر بن هُبيرة : والله ما أتى الحارث بن شريح بيوم خير قط . فقال له التُرجمانُ بن هُزيم : إلا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر. وذهب الترجمانُ بن هزيم الى مثل معنى قول الشاعر :

ومَا خُلِقَتْ بَنُو زِمّانَ إلا أخيراً بعد خلق النّاس طُرّا

وَمَا فَعَلَتْ بَنُو زِمّانَ خيراً ولا فَعَلَت بنو زِمّان شرّا

ومن هذا الجنس من الاحاديث — وهو يدخل فى باب الملح — قال الاصمعى: وصلتُ بالعلم ، ونلت بالملح. قال رجل مرة : أبى الذى قاد الجيوش، وفتح الفتوح، وخرج على الملوك ، واغتصب المنابر. فقال له رجل من القوم : لاجرم ، لقد أسر وقُتل وصُلب . فقال له المفتخر بأبيه: دعنى من أسر أبى وقتله وصلبه ، أبوك أنت

حدث نفسه بشيء من هذا قط ؟

قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم ، وأنا أوصيك أن لا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ، وأنهما يناسبانك بعض المناسبة ، ويشاكلانك في بعض المشاكلة . ولا تهمل طبيعتك فيستولي الاهمال على قوة القريحة ويستبد بها سوء العادة . وان كنت ذا بيان وأحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة وبقوة المُنة يوم الحفل فلا تقصر في التماس اعلاها سورة وأرفعها في البيان منزلة . ولا يقطعنك تهييبُ الجهلاء ، وتخويف الجبناء . ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها ، والاحاديث المتناولة على أقبح مخارجها

وكيف تطيعهم بهذه الروايات المعدولة ، والاخبار المدخولة ، وبهذا الرأى الذى ابتدعوه من قِبل أنفسهم ، وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر داود النبي صلوات الله عليه فقال « وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ـ الى قوله ـ وفصل الخطاب ؟ » فجمع له بالحكمة : ألبراعة في العقل ، والرجاحة في الحلم ، والاتساع في العلم ، والصواب في الحكم . وجمع له بفصل الخطاب : تفصيل المجمل ، وتخليص الملتبس (١) ، والبصر بالحزّ في موضع الحز ، والحسم في موضع الحسم . وذكر رسول الله ﷺ شعيبا النبي عليه السلام فقال : « كان شعيب خطيب الانبياء » وذلك عند بعض ما حكاه الله عنه في كتابه ، وحلاه لاسماع عباده . فكيف تهاب منزلة الخطباء وداود عليه السلام سلفك ، وشعيب أمامك ، مع ما تلونا عليك في صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم ، والآى الكريم ؟ وهذه خطب رسول الله ﷺ مدوّنة محفوظة ، ومخلدة مشهورة . وهذه خطب أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . وقد كان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن اصحابه بأمره . وكان ثابت بن قيس بن الشماس الانصارى خطيب رسول الله ﷺ لا يدفع ذلك أحد

فأما ما ذكرتم من الاسهاب والتكلف ، والخطل والتزيد ، فانما يخرج إلى الاسهاب المتكلف ، والى الخطل المتزيد . فاما أرباب الكلام ، ورؤساء أهل البيان ، والمطبوعون المعاودون ، وأصحاب التحصيل والمحاسبة ، والتوقى والشفقة ، والذين يتكلمون في صلاح ذات البين ، وفي إطفاء نائرة أو في حمالة ، أو على منبر جماعة ، أو في عقد إملاك ، بين مسلم ومسلمة ، فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو إلى السلاطة والمراء ، والى الهذر والبذاء ، والى النفج والرياء ؟ ولو كان هذا كما يقولون لكان على بن أبي طالب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما أكثر الناس فيما ذكرتم . فلم خطب صعصعة ابن

(١) وتخليص الملتبس : في الاصل ، وتلخيص ، وليس هذا مكانها والصواب ما أثبتناه

صوحان عند على بن أبى طالب ؟وقد كان ينبغى للحسن البصرى أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم ؟

قال الاصمعى : قيل لسعيد بن المسيب : هاهنا قوم نساك يعيبون إنشاد الشعر؟ قال : نسكوا نسكا أعجميا .

وزعمتم أن رسول الله ﷺ قال « شعبتان من شعب النفاق : البذاء والبيان ، وشعبتان من شعب الايمان : الحياء والعى »

ونحن نعوذ بالله من العى ، ونعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان، ورسول الله ﷺ يحث على العى ، ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله ﷺ بين البذاء والبيان، وإنما وقع النهى على كل شىء جاوز المقدار ، ووقع اسم العى على كل شىء قصر عن المقدار . فالعى مذموم ، والخطل مذموم ، ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالى.

وها هنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة. وروا أن رجلا مدح الحياء عند الاحنف وأن الاحنف قال : بم يعود ذلك ضعفاً والخير لا يكون سببا للشر ؟ ولكنا نقول : إن الحياء اسم لمقدار من المقادير ما زاد على ذلك المقدار فسمّه ما أحببت . وكذلك الجود اسم لمقدار من المقادير ، فالسّرَف اسم لما فضل عن ذلك المقدار . والحزم مقدار ، فالجبن اسم لما فضل عن ذلك المقدار، والاقتصاد مقدار ، فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار . والشجاعة مقدار، فالتهور والخور اسم لما جاوز ذلك المقدار

وهذه الاحاديث ليست لعامتها أسانيد متصلة ، فان وجدتها متصلة لم تجاهد محمودة ، وأكثرها جاءت مطلقة ، ليس لها حامل محمود ولا مذموم ، فاذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن .

فان أردت أن تتكلف هذه الصّناعة وتنسب إلى هذا الادب ، فقرضت قصيدة ، أو حبرت خطبة ، أو ألفت رسالة ، فاياك أن تدعوك ثقتك بنفسك ويدعوك عجبك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدعيه ، ولكن أعرضه على العلماء فى عرض رسائل أو أشعار أو خطب ، فان رأيت الاسماع تصغى له والعيون تحدج اليه، ورأيت من يطلبه و يستحسنه فانتحله ، فان كان ذلك فى ابتداء امرك وفى اول تكلفك فلم تزله طالبا ولا مستحسنا ، فلعله أن يكون ـ ما دام رضا قضيبا ـ تعنيسا أن يحل عندهم محل المتروك ، فان عاودت أمثال ذلك مراراً فوجدت الاسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية ، فخذ فى غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذى لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه . وقال الشاعر :

إِنَّ الْحَدِيثَ تَغُرُّ القومَ حَلوَتُهُ حَتَّى يُلِحَّ بِهِم عِيٌّ وَإِكثَارُ

وفى المثل المضروب « كُلُّ مُجْرٍ فِي الْخَلاَ يُسَرُّ » ولم يقولوا مسرور . وكلُّ صواب فلا تثق فى كلامك برأى نفسك . فانى ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق المتماسك حتى إذا صار إلى رأيه فى شعره، وفى كلامه، وفى ابنه، رأيته متهافتا وفوق المتهافت

وكان زهير بن سُلمى وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده (الحوليات)

وقال نوح بن جرير: قال الحطيئة : خير الشعر الحولى المنقح . وقال البعيث الشاعر، وكان أخطب الناس : انى والله ما أرسل الكلام قضيباً خشيباً ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل الا بالبائت المحكك

وكنت أظن أن قولهم: محكك، كلمة مولدة حتى سمعت قول الصعب بن على الكنانى:

أَبْلِغْ فَزَارَةَ أَنَّ الذِّئْبَ آكِلُهَا وجائعٌ سَغِبٌ شَرٌّ مِنَ الذِّيبِ

أَدَلُّ أَطْلَسُ ذُو نَفْسٍ مُحَكَّكَةٍ قَدْ كَانَ طَارَ زَمَاناً فِي الْيَعَاسِيبِ

وتكلم يَزِيدُ بنُ أبانِ الرقاشى ، ثم تكلم الحسن واعرابيّان حاضران . فقال أحدهما لصاحبه : كيف رأيت الرجلين ؟ قال: أما الاول فقاصٌّ مجيد ، وأما الا خر فعربىّ محكك . ونظر أعرابى الى الحسن فقال له رجل : كيف تراه ؟ قال : أرى خيشوم حر . وأرادوا عبدَ الله بنَ وهب الراسبىَّ (١) على الكلام يوم عقدت له الخوارج الرياسة . فقال : وما أنا والرأى الفطير والكلام القضيب ؟ ولما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأى يغبّ ، فان غبوبه يكشف لكم عن محضه . وقيل لابن التوأم الرقاشي : تكلم . فقال : ما أشتهى الخبز إلا بائتاً . وقال عُبيد الله بن سالم لرؤبة : مت يا أبا الجحاف إذا شئت . قال : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت اليوم عُقبة بنَ رُؤبة ينشد شعراً له أعجبنى . فقال رؤبة : نعم انه ليقول ولكن ليس لشعره قِران . وقال الشاعر :

مَهاذِبةٌ مناجبة قِرانُ مَنادبة كأنهم الأُسودُ

يريد بقوله : قِران ، التشابه والموافقة

وقال عمر بن لجاء لبعض الشعراء : أنا أشعر منك . قال : وبم ذاك ؟ قال :

(١) فى الاصل : الراسى ، وليس كذلك وهو الراسبى كما أثبتناه

لاني أقول البيت وأخاه، وتقول البيت وابن عمه . وذكر بعضهم شعر النابغة الجعدى فقال : مطرف بآلاف وحمار بواف . وكان الاصمعى يفضله من أجل ذلك. وكان يقول : الحطيئة عبد لشعره . عاب شعره حين وجده كله متخيراً منتخباً مستوياً ، لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه . وقالوا : لو كان شعر صالح بن عبد القدوس (١) وسابق البربرى كان مفرقاً فى أشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار أرفع مما هى عليه بطبقات ، واصار شعرهما نوادر سائرة فى الآفاق ، ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ، ومتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك النظام عنده موقع . وقال بعض الشعراء لرجل : أنا أقول فى كل ساعة قصيدة، وأنت تقرضها فى كل شهر، فلم ذلك ؟ قال : لانى لا أقبل من شيطانى مثل الذى تقبله من شيطانك (٢) . قالوا : وأنشد عقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعراً وقال له : كيف تراه ؟ قال له : يابنى ، ان أباك ليعرض له مثل هذا يميناً وشمالا فما يلتفت اليه .

وقد رووا ذلك فى زهير وابنه كعب

وقيل لعقيل بن علفة : لم لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وقيل لأبى المهوس: لم لا تطيل الهجاء ؟ قال: لم أجد المثل النادر الا بيتاً واحداً، ولم أجد الشعر السائر الا بيتاً واحداً . وقال مسلمة بن عبد الملك لنصيب : يا أبا الحجناء ، أما تحسن الهجاء ؟ قال : أما ترانى أحسن مكان عافاك الله، لاعافاك

---

(١) صالح بن عبد القدوس . زعموا انه كان زنديقاً ،وانه كان يتظاهر بمذهب الثنوية القائلين بمبدأ النور والظلمة . جرت بينه و بين أبى الهذيل العلاف مناظرات كان نصيبه فيها الخزلان . وزعموا انه رؤى يصلى صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له : ما هذا ومذهبك معروف ؟ فقال : سنة البلد ، وعادة الجسد ، وسلامة الأهل والولد . ولما شاع عنه ماشاع من انتحال الزندقة طلبه المهدى العباسى ونوظر بين يديه ثم حبسه وصلبه . وكان شاعراً من شعراء الحكمة

(٢) ذكرنى هذا بما يروى عن هوميروس الشاعر اليونانى انه جاءه يوماً الشاعر ابرخس يفاخره بكثرة شعره وسرعة عمله و يعيره بالبطء وقلة الشعر، فقال له هوميروس: بلغنى أن خنزيرة بانطاكية عيرت لبؤة بطول زمن الحمل وقلة الولد ، وفاخرتها بالسرعة والكثرة فقالت لها البؤة : لقد صدقت ، إنى ألد ا بطء ولد الولد ولكن أسداً

الله ؟ ولاموا الكميت بن زيد على الاطالة فقال : أنا على القصار أقدر . وقيل للعجاج : مالك لاتحسن الهجاء ؟ قال : هل فى الارض صانع إلا وهو على الافساد أقدر ؟ وقال رؤبة : الهدم أسرع من البناء

وهذه الحجج التى ذكروها عن نُصيب والكُميت والعَجّاج ورُؤبة إنما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة . وقد يكون الرجل له طبيعة فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام ، ويكون له طبيعة فى التجارة وليس له طبيعة فى الفلاحة ، ويكون له طبيعة فى الحداء أو فى التعبير أو فى القراءة بالألحان وليس له طبيعة فى الغناء ، وان كانت هذه الانواع كلها ترجع الى تأليف اللحون . ويكون له طبيعة فى الناى وليس له طبيعة فى السرناى ، ويكون له طبيعة فى قصبة الراعى ولا يكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين ، ويكون له طبع فى صناعة اللحون ولا يكون له طبع فى غيرها ، ويكون له طبع فى تأليف الرسائل والخطب والاسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعر ، ومثل هذا كثير جداً

وكان عبد الحميد الاكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر الا مالا يذكر مثله ، وقيل لابن المقفع فى ذلك فقال : الذى ارضاه لايجيئنى ، والذى يجيئنى لا أرضاه . وهذا الفرزدق وكان مشتهراً بالنساء ، وكان زيرغوان وهو فى ذلك ليس له بيت واحد فى النسيب مذكور ، ومع حسده لجرير ـ وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط ـ وهو مع ذلك أغزل الناس شعراً . وفى الشعراء من لايستطيع مجاوزة القصيد الى الرجز . ومنهم من لا يستطيع مجاوزة الرجز الى القصيد . ومنهم من يجمعها : كجرير ، وعمر بن لجاء ، وأبى النجم ، وحميد الارقط ، والعمانى . وليس الفرزدق فى طواله بأشعر منه فى قصاره . وفى الشعراء من يخطب ، وفيهم من لا يستطيع الخطابة . وكذلك حال الخطباء فى قرض الشعر . وشاعرٌ نفسه قد تختلف حالاته . وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعر الناس ، وربما مرت علىّ ساعة ونزع ضرسى أهون علىّ من أن أقول بيتاً واحداً . وقال العجاج : لقد قلت أرجوزتى التى أولها :

بكَيْتُ والمحْتَزَنُ البَكِىُّ وإنَّما يأتى الصِّبا الصَّبِىُّ

أطَرَباً وأنْتَ قَنْسَرِىُّ والدَّهْرُ بالانْسَانِ دَوّرِىُّ

وأنا بالرمل فانثالت علىّ قوافيها انثيالا ، وانى لأريد اليوم دونها فى الايام

الكثيرة فما أقدر عليه . وقال لى أبو يعقوب الخزيمى : خرجت من منزلى أريد الشماسية فابتدأت القول فى مرثية لابى النختاخ فرجعت والله وما امكننى بيت واحد . وقال الشاعر :

وَقَدْ يَقْرِضُ الشِّعْرَ البَكِيُّ لِسانُهُ وتُعيِي القَوَافِي المرءَ وهو خَطِيبُ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ باب من القول في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز ﴾

(من ملتقطات كلام النساك)

قال بعض الناس : من التوقى تركُ الافراط فى التوقي . وقال بعضهم : إذا لم يكن ماتريد فأرد مايكون .

وقال الشاعر :

قَدَرُ اللهِ وَارِدٌ حِينَ يُقْضَى وُرُودُهُ
فأرِدْ مَا يَكُونُ إِنْ لمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُهُ

وقيل لاعرابى فى شكاته : كيف تجدك ؟ قال: أجد مالا أشتهى، وأشتهى مالا أجد، وأنا فى زمان من جاد لم يَجِد، ومن وَجدَ لم يَجُد . وقال بعض النساك : أنا لما لاأرجو أرجَى منى لما أرجو . وقال بعضهم : أعجب من العجب ترك التعجب من العجب . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعبد بنى مخزوم : انى أخاف الله فيما تقلدت . قال : لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك أن لاتخاف. وقال الأحنف لمعاوية : أخافك إن صَدَقتك، وأخاف الله إن كَذَبتك . وقال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود بنفسه : أما ذنوبى فانى أرجو لها مغفرة الله، ولكنى أخاف على بناتى الضيعة . فقال له صاحبه : فالذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك؟ وقال رجل من النساك لصاحب له : مالى أراك حزيناً ؟ قال : كان عندى يتيم أربيه لأوجر فيه فمات فانقطع عنا أجره إذ بطل قيامنا بمؤنته. فقال له صاحبه: فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الاول . قال : أخاف أن لاأصيب يتيما فى سوء خلقه . قال

له صاحبه : أما أنا فلو كنت فى موضعك منه لاذكرت سوء خلقه . وقال آخر ، وسمعه أبو هريرة النحوى وهو يقول : مايمنعنى من تعلم القرآن إلا أنى أخاف أن أضيعه ، قال : أما أنت فقد عجلت له التضييع ولعلك اذا تعلمته لم تضيعه . وقال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا. قال : لو كنت كذلك لم تقل

(باب آخر)

وقالوا في حسن البيان ، وفى التخلص من الخصم بالحق والباطل ، وفى تخليص الحق من الباطل ، وفى الاقرار بالحق وفى ترك الفخر بالباطل :

قال أعرابى وذكر حماس بن ثامل :

بَرِئتُ إِلى الرَّحمٰنِ منْ كلّ صاحبٍ ... أُصاحبُهُ إِلاّ حَمـاسَ بنَ ثامِلِ
وَظَنّى به بَيْنَ السِّماطَيْنِ أنّهُ ... سَيَنْجُو بِحَقٍّ أوْ سَيَنْجُو بِبَاطِلِ

وقال العُجَيْرُ السَّلُولى :

وإِنَّ ابْنَ زَيْدٍ لاَ بْنُ عَمّى وَإِنَّهُ ... لَبَلاَّلُ أيدى جِلةِ الشولِ بالدَّمِ
طَلوعُ الثّنَايَا بالمَطَايا وَإِنَّهُ ... غَدَاةَ المَرَادى لَلْخَطِيبُ المقدَّمُ
يَسُرُّكَ مَظْلُوماً وَيُرْضِيكَ ظَالِماً ... وَيَكْفِيكَ مَا حُمِّلْتَهُ حِينَ تَغْرَمُ

الشول : جمع شائلة ، وهى الناقة التى جف لبنها ، واذا شالت بذنبها بعد اللقاح فهى شائل وجمعها شُول .

المرادى : المصادع والمقارع ، يقال رديت الحجر بصخرة أو بمعول اذا ضربته بها لتكسره ، والمرادة الصخرة التى تكسر بها الحجارة

وقال ابنُ رُبْع الهذلى :

أعَيْنِى ألاَ فَابكِي رُقَيْبَةَ إِنَّهُ ... وَصُولٌ لِأَرْحامٍ ومِعْطَاءُ سائِلِ
فأُقسِمُ لَوْ أُدرِكْتُهُ لَحَمَيْتُهُ ... وَإِنْ كانَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقائِلِ

وقال بعض اليهود، وهو الربيع بن أبى الحُقَيْقِ من بنى النضير، و بعثه رسول الله ﷺ الى خيبر فقتلوه :

سائِلْ بِنـا خَابِرَ أَكْفائِنا ... وَالعِلْمُ قَدْ يُلْفَى لَدَى السَّائِلِ
إِنّا إِذا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى ... وَأَنْصَتَ السَّـامِعُ لِلْقـائِلِ
وَاصْطَرَعَ النّـاسُ بِأَلْبـابِهِمْ ... نَقْضِي بِحُكْمٍ عادِلٍ فاصِـلِ
لانَجْعَلُ الْبـاطِلَ حَقًّـا وَلا ... نُلِطُّ دُونَ الحَقِّ بِالْبـاطِلِ
نَكْرَهُ أَنْ تَسْفَهَ أَحلامُنـا ... فَنَحْمِلَ الدَّهْرَ مَعَ الْحـامِلِ

وقال الآخر، وذكر حماساً أيضاً :

أَتانِي حِماسٌ بِابْنِ ماهِي يَسُوقُهُ ... لِيُبْغِيَهُ خَيْراً وَلَيْسَ بِفاعِلِ
لِيُعْطِيَ عَبْساً مالَنا، وَصُدُورُنا ... مِنَ الغَيْظِ تَغْلِي مِثْلَ غَلْيِ المَراجِلِ
وَقافِيَةٍ قِيلَتْ لَكُمْ لَمْ أَجِدْ لَها ... جَواباً إِذا لَمْ تَضْرِبُوا بِالْمَناصِلِ
فَأَنْطِقَ فِي حَقٍّ بِحَقٍّ وَلَمْ يَكُنْ ... لِيَرْحَضَ عَنْكُمْ قالَةَ الْخِزْيِ باطِلِي

ليرحض : أى ليغسل، والراحض الغاسل ، والمرحاض : الموضع الذى يُغسل فيه

وقال عَمْرُو بْنُ مَعْدِ يكرِب :(١)

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِماحُهُمْ ... نَطَقْتُ وَلَـكِنَّ الرِّماحَ أَجَرَّتِ

الجرار : عود يعرض في فم الفصيل أو يشق به لسانه لئلا يرضع ، فيقول: قومى لم يطعنوا بالرماح فأثنى عليهم ، ولـكنهم فروا فأمسكت كالجر الذى فى فمه جرار

وقال أبو عبيدة : صاح رؤبة في بعض الحروب التى كانت بين تميم والازد : يامعشر بنى تميم أطلقوا من لسانى . قال: أبصر رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنة فصاح : لاعيـاً ولا شللاً . والعرب تقول : عىّ أبأسُ من شلل . كأن العى فوق كل زَمانة . وقالت الجهضمية :

أَلا هَلَكَ الْحُلْوُ الْخِلالُ الْحَلاحِلُ ... وَمَنْ عِنْـدَهُ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنائِلُ

(١) عمرو بن معد يكرب ، هو فارس اليمن بلا منازع ، وبطل من أبطال العرب فى الجاهلية والاسلام، له غارات فى الجاهلية معروفة ، ومشاهد فى الاسلام موصوفة مات غازياً بنهاوند عن سن عالية

وذُو خُطَبٍ يَوْماً إذا القَوْمُ أفْحِمُوا ... تُصِيبُ مَرَادِي قَوْلِهِ مايُحَاوِلُ
بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الكَلامِ إذا الْتَقَى ... شَرِيجَانِ بَيْنَ القَوْمِ حَقٌّ وبَاطِلُ
أَنِيٌّ لِمَا يَأْتِي الكَرِيمُ بِسَيْفِهِ ... وإنْ أَسْلَمَتْهُ جُنْدُهُ والقَبَائِلُ
ولَيْسَ بِمِعطَاءِ الظُّلامَةِ عَنْ يَدٍ ... ولا دُونَ أعلى سُورَةِ المَجْدِ قَابِلُ

الحُلا حل : السيد . شريجان : جنسان . ويقال : الناس شَرجان وشريجان، أي فرقتان ، ومنه حديث النبي ﷺ أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين ، أي بعضهم صائماً وبعضهم مُفطراً

وأنشد أبو عبيدة ـ في الخطيب يطول كلامه ويكون ذكوراً لأول خطبته وللذى بنى عليه أمره وان شغب شاغب فقطع عليه كلامه ، أو حدث عند ذلك حدث يحتاج فيه الى تدبير آخر وصل الثانى من كلامه بالاول حتى لايكون أحدُ كلاميه أجود من الآخر ـ :

فإنْ أحْدَثُوا شَغْباً يُقَطِّعُ نَظْمَهَا ... فإنَّكَ وَصَّالٌ لِمَا قَطَعَ الشَّغْبُ
ولَوْ كُنْتَ نَسَّاجاً سَدَوْتَ خِطَابَهَا ... بِقَوْلٍ كَطَعْمِ الشَّهْدِ بالبَارِدِ العَذْبِ

وقال نُصيب :

ومَا بَذَلَتْ ابتِذَالَ الثَّوْبِ وُدَّكُمُ ... وعائِدٌ خُلقاً ما كانَ يُبْتَذَلُ
وَعِلْمُكَ الشَّيءَ نَهْوَى أنْ تُبَيِّنَهُ ... أشْفِي بِقَلبِكَ مِنْ أخْبارِ مَنْ تَسَلُ

وقال الآخر :

لَعَمْرُكَ ماوِدُّ اللِّسَانِ بِنَافِعٍ ... إذا لَمْ يَكُنْ أصْلُ المَوَدَّةِ فِي الصَّدْرِ

وقال الآخر :

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ المَرْءُ يُولَدُ عَالِماً ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
وَإنَّ كَبِيرَ القَوْمِ لاعِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ إذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ المَحَافِلُ

وقال الآخر :

فَتًى مِثْلُ صَفْوِ المَاءِ لَيْسَ بِبَاخِلٍ ... عَلَيْكَ وَلا مُهْدٍ مَلاماً لِبَاخِلِ

وَلا قائِلٍ عَوْرَاءَ تُؤْذِى رَفِيقَـهُ ... وَلا رافِعٍ رَأْساً بِعَوْراءَ قائِلِ
ولا مُسْـلِمٍ مَوْلًى لأَمْرٍ يُصِيبُهُ ... ولا خالِطٍ حَقًّا مُصِيباً بِباطِلِ
ولا رافِعٍ أُحدُوثَةَ السُّوءِ مُعْجِباً ... بِها بَيْنَ أَيْدِى المَجْلِسِ المُتَقابِلِ
تَرَى أَهْلَهُ فى نِعمَةٍ وهْوَ شاحِبٌ ... طَوِى البَطْنِ مَخْماصُ الضُّحَى والأَصائِلِ

وقالت أخت يزيد بن الطثرية :

أَرَى الأَثْلَ مِنْ بَطْنِ العَقِيقِ مُجاوِرِى ... قَرِيباً وقَدْ غالَتْ يَزِيدَ غَوائِلُهْ
فَتًى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لامُتَضائِلٌ ... ولا رَهِـلٌ لَبَّـاتُهُ وبآدِلُهْ
فَتًى لايُرَى خَرْقُ القَمِيصِ بِخَصْرِهِ ... ولـكِنَّما تُوهِى القَمِيصَ كَواهِلُهْ
إِذا نَزَلَ الأَضْيافُ كانَ عَذَوَّراً ... عَلَى الحَىِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُهْ
مَضَى فوَرِثْناهُ دَرِيسَ مُفاضَةٍ ... وأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلاً حَمائِلُهْ
يَسُرُّكَ مَظْلُوماً وَيُرْضِيكَ ظالِماً ... وَكُلُّ الَّذِي حُمِّلْتَهُ فَهْوَ حامِلُهْ
أَخُو الجِدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجالُ وشَمَّرُوا ... وذُو باطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهاكَ باطِلُهْ

يصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع فى هذا الباب الى الشعر الذى فى أول الفصل

﴿ باب شعر وغير ذلك من الكلام ، مما يدخل في باب الخطب ﴾

قال الشاعر :

عَجِبْتُ لأَقْوامٍ يَعِيبُونَ خُطْبَتِى ... وما مِنْهُمُ فى مَوْقِفٍ بِخَطِيبِ

وقال الآخر :

إِنَّ الـكَلامَ لَفِى الفُؤادِ وإِنَّما ... جُعِلَ اللِّسانُ عَلَى الفُؤادِ دَلِيلا
لا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ خَطِيبٍ قَوْلُهُ ... حَتَّى يَكُونَ مَعَ اللِّسانِ أَصِيلا

وأنشد الآخر

أبَرَّ فما يَزْدَادُ إلاّ حَماقةً ونَوْكاً وإنْ كانَتْ كَثِيراً مَخارِجُهْ

وقد يكون ردىء العقل جيد اللسان

وكان ابو العباس الاعمى يقول :

إذا وَصَفَ الاسْلامَ أحسَنَ وصفَهُ بفِيهِ ويأبَى قَلْبُهُ ويُهاجِرُهْ

وإنْ قامَ قالَ الحَقَّ مادامَ قائماً تقيُّ اللِّسانِ كافِرٌ بَعْدُ سائِرُهْ

يقول انه ينبيه عن قوله ويأباه ويهجره ، ويقول الحق على منبره بلسانه وسائره كافر

وقال قَيْسُ بنُ عَاصِمٍ المِنْقَرِيُّ يذكر ما في بنى منقر من الخطابة :

إنّى امْرُؤٌ لايَعْتَرِى خُلُقِي دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ ولا أفْنُ

مِن منقرٍ في بَيْتِ مَكْرُمَةٍ والأصلُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الغُصْنُ

خُطَباءُ حِينَ يَقُومُ قائِلُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مَصاقِعٌ لُسُنُ

لايَفْطَنُونَ لِعَيْبِ جارِهِمِ وَهُمُ لِحُسْنِ جِوارِهِمْ فُطُنُ

ومن هذا الباب ، وليس منه فى الجملة، قول الاخر :

أشارَتْ بِطَرْفِ العَينِ خِيفَةَ أهْلِها إشارَةَ مَذْعُورٍ ولَمْ تَتَكَلَّمِ

فأيْقَنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قَدْ قال مَرْحَباً وأهْلاً وسَهلاً بالحَبِيبِ المُسَلِّمِ

وقال نصيب :

يقولُ فَيُحْسِنُ القَوْلَ ابْنُ لَيْلَى ويَفعَلُ فوْقَ أحْسَنِ ما يَقولُ

وقال آخر :

ألا رُبَّ خَصْمٍ ذِى فُنُونٍ عَلَوْتُهُ وانْ كانَ أَلْوَى يُشْبِهُ الحَقَّ باطِلُهْ

فهذا هو معنى قول العتابى : البلاغة إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل فى صورة الحق . وقال الشاعر وهو كما قال :

عَجِبْتُ لإدلالِ العَيِيِّ بِنفسِهِ وصَمْتِ الذِى قد كانَ بالقَوْلِ أعلَما

وفي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلعَيِيِّ وإنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ المرْءِ أنْ يَتكلَّمَا

وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان فى شعره الذى رثى به عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه ، يقول :

ضَحُّوا بأشْمَطَ عُنوَانُ السُّجُودِ بهِ يُقطِّعُ اللَّيْلَ تسْبِيحاً وقرآنا

وأنشد أيضا :

ترَى الفِتْيَانَ كالنَّخل وما يدريكَ ما الدَّخلُ

وكلٌّ في الهَوَى ليثٌ وفيما نابَه فَشَلُ

وليْسَ الشأن في الوَصلِ ولَكنْ أن يُرَى الفضلُ

وقال كِسرى أنو شِروان لِبُزُرْجمِهْرَ : أى الاشياء خير للمرء العيي ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فان لم يكن له عقل ؟ قال : فاخوان يسترون عليه . قال : فان لم يكن له اخوان ؟ قال : فمال يتحبَّب به الى الناس . قال : فان لم يكن له مال ؟ قال : فعي صامت . قال : فان لم يكن ذلك ؟ قال : فموت مريح

وقال موسى بن يحى بن خالد : قال أبو على : رسائل المرء فى كتبه أدل على مقدار عقله ، وأصدق شاهد على غيبه لك ومعناه فيك من أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة

* (وباب آخر) *

ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوه كبُرُودِ العَصْبِ ، وكالحلل والمعاطف والديباج والوشي وأشباه ذلك

وأنشدنى أبو الجماهر جندب بن مدرك الهلالى :

لا يُشْتَرَى الحمدُ أُمنيَّةً ولا يُشترَى الحمدُ بالمقصر

ولَكنَّما يُشترَى غالِياً فمَن يُعْطِ قيمته يَشترِ

وَمَنْ يَعتَطِفْ على مِئزَرٍ فَنِعْمَ الرِّدَاءُ على المِئزَرِ

وأنشدنى لابن ميادة :

نَعَمْ أنَّنِي مُهْدِ ثَنَاءً ومِدْحَةً كبُردِ يمانٍ يُربحُ البَيْعُ تاجرَهْ

وانشدنى :

فَانْ أَهْلِكْ فَقَدْ أَبْقَيْتُ بَعْدِى قَوَافِىَ تُعْجِبُ الْمُتَمَثِّلِينَا

لَذِيذَاتِ الْمَقَاطِعِ مُحْكَمَاتٍ لو انَّ الشِّعْرَ يُلْبَسُ لارْتُدِينَا

وقال ابوقردودة يرثى ابن عمار قتيل النعمان ووصف كلامه وقد كان نهاه عن منادمته :

إِنِّى نَهَيْتُ ابنَ عَمَّارٍ وَقلت لَه لاَ تَامَنَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ والشَّعَرَهْ

إِنَّ الملوكَ مَتَى تَنْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ تَطِرْ بِنَارِكَ مِن نِيرَانِهِمْ شَرَرَهْ

يَا جَفْنَةً كَإِزَاءِ الحوْضِ قَدْهَدموا ومَنطقاً مِثلَ وَشْىِ الْيَمْنَةِ الحبرهْ

وقال الشاعر فى مديح احمد بن ابى دؤاد :

وعويصٌ من الأُمورِ بهيمٌ غَامِضِ الشَّخصِ مظلمٌ مستور

قَد تَسهَّلت ما توعَّر منه بلسانٍ يَزينه التَّحبير

مِثل وشى البرود هلهله النَّسـ ـج وعندَ الحِجاجِ درٌّ نثير

حَسَنُ الصَّمْتِ والمقَاطِعُ إِمَّا أَنصتَ القَوْمُ والحديث يدور

ثُمَّ مِنْ بَعْدُ لحظَةَ تُورِثُ اليُسْـ ـرَ وعِرْضٌ مهـذَّبٌ موفُور

ومما يضم الى هذا وليس منه بعينه قول جميل بن معمر :

نَمَتْ فِي الرَّوَابِى مِنْ مَعَدٍّ وأَفلَجَتْ على الخِيفِرَاتِ الغُرِّ وَهْىَ وَرِيد

أُنَاةٌ على نِيرَيْنِ أَضْحَى لِدَاتُها بَلِينَ بَلاءَ الرَّيطِ وَهْىَ جَدِيدُ

نمت : شبت . الروابى من معد : البيوت الشريفة ، وأصل الرابية والرباوة ما ارتفع من الارض. وأفلجت: ظهرت وقهرت . الخفرات : الحييات

الاناة : المرأة التى فيها فتور عند القيام. وقوله:على نيرين وصفها، بالقوة كالثوب الذى ينسج على نيرين، وهو الثوب الذى له سديان كالديباج وما أشبه. أضحى لداتها، اللدة : القرينة فى المولد والمنشأ . فيقول : ان أقرانها قد بلين وهى جديد لحسن

غذائها ودوام نعمتها

ومن هذا الشكل وليس منه بعينه قول الشاعر :

على كلِّ ذِى نيرَيْنِ زِيدَ مَحَالُهُ محَالاً وفى أضْلاَعِهِ زِيد أضْلعا

المحال : محال الظهر وهى فقاره ، واحدها محالة

وقال ابو يعقوب الخزيمى الاعور : أول شعر قلته هذان البيتان :

بِقلبِي سَقَامٌ لَسْتُ أُحسن وصفه على أنه ماكان فهْو شَدِيد

تمرُّ به الأيَّام تَسْحَبُ ذَيْلها فَتَبْلى به الأيَّامُ وهوَ جَـدِيد

وقال آخر ، وهو ابو الاسود الدؤلى :

أَبىَ القلب إلاّ امَّ عمرٍو وحُبَّها عَجوزاً ومن يحبِب عجوزاً يفنَّدِ

كبُرْدِ اليَماني قد تَقادَمَ عَهْدُهُ وَرُقْعَتُهُ ما شئت في العين واليد

وقال ابن هرمة :

إنَّ الأَدِيمَ الَّذِى أصْبَحْتَ تَعْرُكُهُ جَهْـلاً لَذُو نَغَلٍ بَادٍ وَذُو حَلَمِ

وَلَنْ يُبَطَّ بِأيْدِى الخَـالِقِين وَلاَ أيْدِى الخَوَالِقِ إلاَّ جَيِّـدُ الأدَمِ

وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذى الرمة :

وفي قَعْرِ حجرٍ مِن ذُؤَابَةِ عَامِرٍ إمام هُدًى مُسْتَبْصِرُ الْحُـكْمِ عَادِلُهْ

كأنَّ عَلَى أعْطَافِهِ مَاءَ مُذْهَبٍ إذا سمل السِّربال طارت رَعَابِلُهْ

الرعابل : القطع ، وشواء مرعبل أى مقطع ، ورعبلت الشيء أى قطعته . ويقال : ثوب سمل وأسمال ، وأسمل الثوب وسمل اذا أخلق

وهو الذى يقول :

حَوْرَاء فى دَعَجٍ صفْرَاء فِي نَعَجٍ كَأنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَـا ذَهَبْ

الحور : شدة بياض العين . والدعج : شدة سواد الحدقة . والنعج : اللين . قالوا لان المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب الى الحمرة ، و بالعشي يضرب الى الصفرة . ولذلك قال الاعشى :

بَيْضَاءُ ضَحْوَتَهَا وَصَفْـ ـرَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارَهْ

وقال آخر :

قَدْ عَلِمَتْ بَيْضَاءُ صَفْرَاءُ الأُصُلْ لأُغْنِيَنَّ الْيَوْمَ مَا أَغْنَى رَجُلْ

وقال بشار بن برد :

وخُذِي مَلابِسَ زِينَةٍ وَمَصَبَّغَاتٍ فَهْيَ أَفْخَرْ

وإِذَا دَخَلْتِ تَقَنَّعِي بِالْخُمْرِ إِنَّ الْحُسْنَ أَحْمَر

وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق هذا الامر الى مالا يبلغه تمييز البصير. ولبشار خاصة فى هذا الباب ماليس لاحد، ولولا أنه فى « كتاب الرجل والمرأة » وفى « باب القول فى الانسان » فى « كتاب الحيوان » أليق وأذكى لذكرناه فى هذا الموضع . ومما ذكروا فيه الوزن قوله :

زِنِي الْقَوْمَ حَتَّى تَعْرِفِي عِنْدَ وَزْنِهِمْ إِذَا رُفِعَ الْمِيزَانُ كَيْفَ أَمِيلُ

وقال ابنُ الزَّبِيْرِ الأَسَدِيُّ :

أَعَاذِلِ غُضِّي بَعْضَ لَوْمِكِ إِنَّنِي أَرَى الْمَوْتَ لاَ يَرْضَى بِدَيْنٍ وَلاَ رَهْنِ

وإِنِّي أَرَى دَهْراً تَغَيَّرَ صَرْفُهُ وَدُنْيَا أَرَاهَا لاَ تَقُومُ عَلَى وَزْنِ

﴿ باب آخر ﴾

ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به، ويفضلون اصابة المقادير ويذمون الخروج من التبويل . قال جعفر بن سليمان : ليس يطيب الطعام بكثرة الانفاق وجودة التوابل ، وانما الشأن فى اصابة القدر . وقال الشاعر، وهو عارق بن أثال الطائى :

مَا إِنْ يَزَالُ بِبَغْدَادٍ يُزَاحِمُنَا عَلَى الْبَرَاذِينِ أَبْنَاءُ الْبَرَاذِينِ

أَعْطَاهُمُ اللهُ أَمْوَالاً وَمَنْزِلَةً مِنَ الْمُلُوكِ بِلاَ عَقْلٍ وَلاَ دِينِ

مَا شِئْتَ مِنْ بَغْلَةٍ شَقْرَاءَ نَاجِيَةٍ أَوْ مِنْ أَنَاثٍ وَقَوْلٍ غَيْرِ مَوْزُونِ

وأنشد بعض الشعراء :

رَأَتْ رَجُلاً أَوْدَى السِّفَارُ بِجِسْمِهِ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْطِقٌ وَجَنَاجِنُ

إِذَا حُسِرَتْ عَنْهُ الْعِمَامَةُ رَاعَهَا ... جَمِيلُ الْخُفُوقِ أَغْفَلَتْهُ الدَّوَاهِنُ

فَإِنْ أَكُ مَعْرُوقَ الْعِظَامِ فَإِنَّنِي ... إِذَا مَا وَزَنْتُ الْقَوْمَ بِالْقَوْمِ وَازِنُ

الجناجن : عظام الصدر

قال مَالِكُ بنُ أَسْمَاءَ فى بعض نسائه ، وكانت تصيب الكلام كثيرا ، وربما لحنت :(١)

أَمُغْطِّى مِنِّى عَلَى بَصَرِى لِلْحُبِّ ... أَمْ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنَا

وَحَدِيثِ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ عَاقِلٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نًا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

وقال طَرَفَةُ فى المقدار وإصابته :

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ... صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

طلب الغيث على قدر الحاجة ،لان الفاضل ضار . وقال النبى ﷺ فى دعائه « اللهم اسقنا سقيا نافعا » لان المطر ربما جاء فى غير إبان الزراعات ، وربما جاء والتمر فى الجرن والطعام فى البيادر ، وربما كان فى الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبى ﷺ « اللهم حوالينا ولا علينا » وقال بعض الشعراء لصاحبه : أنا أشعر منك . قال : ولم ؟ قال : لانى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه . وعاب رؤبة شعر ابنه عقبة فقال : ليس له قران . وجعل البيت أخا البيت اذا أشبهه وكان حقه أن يوضع الى جنبه ، وعلى ذلك التأويل قال الا عشى :

أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ فَإِنَّ قَصِيدَةً ... مَتَى تَأْتِكُمْ تَلْحَقْ بِهَا أَخَوَاتُهَا

قال الله عز وجل « وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا »

وقال عمرو بن معد يكرب :

(١) راجع ص ١١٢

وَكلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أخُوهُ لَعَمرُ أبِيكَ إلاَّ الفَرْقَدَانِ

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقل لفظاً ، قال الهذلى :

أعَامرُ لا آلُوكَ إلاَّ مُهَنَّداً وجِلدُ أبِي عِجْلٍ وثِيقُ القَبَائِلِ

يعنى بأبى عجل : الثور .

وقالوا ما هو أبعد من هذا ، قال ابنُ عَسَلَةَ الشَّيْبَانِيُّ واسمه عَبدُ المسيح :(١)

وسَمَاعِ مُدْجِنَةٍ تُعَلِّلُنَا حَتَّى تَنَامَ تَنَاوُمَ العُجْمِ

فَصَحَوْتُ والنَّمَرِيُّ يَحْسَبُهَا عَمَّ السِّمَاكِ وخَالَةَ النَّجْمِ

النجم : واحد وجمع ، والنجم : الثريا فى كلا العرب . مدجنة : أى سحابة دائمة

وقال أبو النجم فيما هو أبعد من هذا ووصف العير ، والمعير الموضع الذى يكون فيه الأعيار :

وظلَّ يُوفِي الأَكَمَ ابنُ خَالِهَا

فهذا مما يدل على توسعهم فى الكلام ، وحمل بعضه على بعض ، واشتقاق بعضه من بعض . وقال النبى ﷺ « نعمت العمة لكم النخلة » كأن بينها وبين الانسان تشابه وتشاكل من وجوه . وقد ذكرنا ذلك فى « كتاب الزرع والنخل » وفى مثل ذلك قال بعض الفصحاء :

شَهِدْتُ بأنَّ النَّمْرَ بالزُّبْدِ طَيِّبٌ وأنَّ الحُبَارَى خَالَةُ الكِرْوَانِ

لان الحبارى وان كانت أعظم بدنا من الكروان فان اللون وعمود الصورة واحد ، فلذلك جعلها خالته ، ورأى أن ذلك قرابة تستحق بها هذا القول

﴿ باب آخر من الشعر ﴾

﴿ مما قالوا فى الخطب واللسن والامتداح به والمديح عليه ﴾

قال كعب الاشقرى :

إلاَّ أكُنْ فِى الأَرْضِ أخْطُبُ قَائِماً فَإنِّى عَلى ظَهْرِ الكُمَيْتِ خَطِيبُ

(١) انظر قصيدة عبد المسيح بن عسلة مشروحة بقلمنا فى المفضليات ص ١٣٣

وقال ثابت قطنة :

فإلاّ أكُنْ فيكُمْ خَطِيباً فإنّني ... بِسُمْرِ القَنَا والسَّيْفِ جِدُّ لَعُوبِ

وقالت ليلى الاخيلية :

حتّى إذَا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ ... تَحْتَ اللِّوَاءِ على الخَمِيسِ زَعِيمَا

وقال الآخر :

عَجِبْتُ لأَقْوَامٍ يَبِينُونَ خُطْبَتِي ... وَما مِنْهُمُ فِي مَأْقِطٍ بِخَطِيبِ

وهؤلاء يفخرون بخطبهم التى عليها يعتمدون بالسيوف والرماح ، وان كانوا خطباء

وقال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ :

أَبْلِغْ نُعَيْماً وَأَوْفَى إنْ لَقِيتَهُمَا ... إنْ لَمْ يَكُنْ كانَ فِي سَمْعَيْهِمَا صَمَمُ

فَلا يَزَالُ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... يَهْدِي المَقَانِبَ مالم يُهْلِكِ الصَّمَمُ

عَارِي الأَشَاجِعِ مَعْصُوبٌ بِلِمَّتِهِ ... أَمْرُ الزَّعَامَةِ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

المقانب: جمع مقنب ، والمقنب الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة. الاشاجع : عروق ظاهر الكف ، وهى مغرز الاصابع . اللمة : الشعيرة التى ألمت بالمنكب . زعيم القوم : رأسهم وسيدهم الذى يتكلم عنهم ، والزعامة مصدر الزعيم الذى يسود قومه . وقوله : معصوب بلمته ، أى يعصب برأسه كل أمر . عرنينه : انفه

وقال أبو العباس الاعمى مولى بنى بكر بن عبد مناف فى بنى عبد شمس :

لَيْتَ شِعْرِي أَفَاحَ رَائِحَةَ المِسْـ ... ـكِ مَا إنْ اخَالُ بِالخَيْفِ أُنْسِي

حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ ... والبَهَالِيلُ مِن بَنِي عَبْدِ شَمْسِ

خُطَبَاءٌ عَلَى المَنَابِرِ فُرْسَا ... نٌ عَلَيْهَا وَقَالَةٌ غَيْرُ خُرْسِ

لا يُعَابُونَ صَامِتِينَ وَإنْ قَا ... لُوا أَصَابُوا وَلَمْ يَقُولُوا بِلِبْسِ

بِحُلُومٍ إذا الحُلُومُ اسْتَخَفَّتْ ... وَوُجُوهٍ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ مُلْسِ

وقال العَجّاجُ :

وحَاصِنٍ مِنْ حَاصِنَاتِ مُأْسِ مِنَ الأَذَى وَمِنْ قِرَافِ الوَقْسِ

المحصنة : ذات الزوج : والحاصن العفيفة . والوقس : الجرب

وقال امرؤ القيس بن حجر :

ويَارُبَّ يَوْمٍ قدْ أَروحُ مرجلاً حَبِيباً إِلَى الْبِيضِ الكَوَاعِبِ أَمْلَسَا

وقال أبو العباس الاعمى :

ولَمْ أَرَ حَيًّا مِثلَ حَيٍّ تَحَمَّلُوا إِلَى الشَّامِ مَظْلُومِينَ مُنْذُ بُرِيتُ

أَعزَّ وأَمْضَى حِينَ تَشْتَجِرُ القَنَا وأَعلَمَ بِالْمُسْكِينِ حَيْثُ يَبِيتُ

وأَرْفَقَ بالدُّنيَا بأَولَى سِيَاسَةٍ إِذا كَادَ أَمْرُ المسلمينَ يَفُوتُ

إِذا ماتَ مِنهمْ سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الكَلامِ زَمِيتُ

وقال آخر :

لايَغْسِلُ العِرْضُ مِنْ تَدَنُّسِهِ والثَّوْبُ إِنْ مَسَّ مَدْنَساً غُسِلا

وزَلَّةُ الرِّجْلِ تُسْتَقَالُ ولاَ يَكَادُ رَأْيٌ يُقِيلُكَ الزَّلَلا

وقال آخر في الزلل :

أَلَهْفِي إِذْ عَصَيْتُ أَبَا يَزِيدٍ ولَهْفِي إِذْ أَطَعْتُ أَبَا العَلاَءِ

وكَانَتْ هَفْوَةً مِنْ غَيْرِ رِيحٍ وكَانَتْ زَلَّةً مِنْ غَيْرِ مَاءِ

وقال آخر :

فانَّكَ لَمْ يُنْذِرْكَ أَمرٌ تَخَافُهُ إِذا كُنْتَ فِيهِ جَاهِلاً مِثْلَ خَابِرِ

وقال ابن وابصة ـ واسمه سالم ـ فى مقام قام فيه مع ناس من الخطباء :

يا أَيُّهَا المُتَحَلِّي غَيرَ شِيمَتِهِ ومَنْ سَجِيَّتُهُ الاكْثَارُ والمَلَقُ

أَعمِدْ إِلى القَصدِ فِيمَا أَنتَ رَاكِبُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ

صَدَّتْ هُنَيْدَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ... عَنِّي بِمَطْرُوفَةٍ إِنْسَانُهَا غَرِقُ
وَرَاعَهَا الشَّيْبُ فِي رَأْسِي فَقُلْتُ لَهَا ... كَذَاكَ يَصْفَرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ
بَلْ مَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ ... أَحْمِي الذِّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ
فَمَا زَلَلْتُ وَلَا أُلْفِيتُ ذَا خَطَلٍ ... إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلِقُوا

وأنشد أعرابى من باهلة:

سَأَعْمِلُ نَصَّ الْعِيسِ حَتَّى يَكُفَّنِي ... غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا ... عَلَى الْحُرِّ بِالْإِقْلَالِ وَسْمُ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمْ يُلْغَ حُكْمُ كَلَامِهِ ... وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمُ بَيَانِ
كَأَنَّ الْغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الْغِنَى ... بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِ

وفى مثلها، فى بعض الوجوه، قول عروة بن الورد:

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي ... رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الْفَقِيرُ
وَأَهْوَنُهُمْ وَأَحْقَرُهُمْ لَدَيْهِمْ ... وَإِنْ أَمْسَى لَهُ نَسَبٌ وَخِيرُ
وَيُقْصَى فِي النَّدِيِّ وَتَزْدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَيُلْفَى ذُو الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ ... يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ وَالذَّنْبُ جَمٌّ ... وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورُ

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه: الهوى إله معبود. وتلا قوله عز وجل «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ»

وقال أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل:

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِقَانِ عَلَى عَمْـ ... ـدٍ إِلَى الْيَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهُجْرِ
سَأَلَتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَتَانِي ... لِي قَلِيلًا ؛ قَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكْرِ
فَلَعَمْرِي أَنْ يَكْثُرَ الْمَالُ عِنْدِي ... وَيُعَرَّى مِنْ الْمَغَارِمِ ظَهْرِي

وتُرَى أعْبُدٌ لنا وأوَاقٍ ... ومَنَاصِيفُ مِنْ خَوَادِمَ عَشْرِ
وتَجُرُّ الأذْيَالَ في نِعْمَةٍ زَوْ ... لٍ تَقُولَانِ: ضَعْ عَصَاكَ لِدَهْرِ
وَيْكَأنْ مَنْ يَكُنْ له نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ
ويُجَنَّبْ سِرَّ النَّجِيِّ ولَكِنَّ ... أخَا المَالِ مُحْضَرٌ كلَّ سِرِّ

المناصيف: الخدم، واحدهم منصف وناصف ،وقد نصف القوم ينصفهم نصافة اذا خدمهم . نعمة زول:حسنة ، والزول : الخفيف الظريف ، وجمعه أزوال

وقال عَبِيْدُ بنُ الأبْرَص فى نحو هذا وليس كمثله :

تِلْكَ عِرْسِي غَضْبَى تُرِيدُ زِيَالِي ... أَلِبَيْنٍ تُرِيدُ أَمْ لِدَلَالِ ؟
إِنْ يَكُنْ طِبُّكِ الفِرَاقَ فلا أحْـ ... ـفِلُ أنْ تَعْطِفِي صُدُورَ الجِمَالِ
كُنْتِ بَيْضَاءَ كالمَهَاةِ وإِذْ ... آتِيكِ نَشْوَانَ مُرْخِياً أذْيَالِي
فاتْرُكِي مَطَّ حاجِبَيْكِ وعِيشِي ... مَعَنَا بالرَّجَاءِ والتَّأمَالِ
زَعَمَتْ أنَّنِي كَبِرْتُ وأَنِّي ... قَلَّ مَالِي وَضَنَّ عَنِّي المَوالِي
وصَحَا بَاطِلِي وأصْبَحْتُ شَيْخاً ... لا يُوَاتِي أمْثَالَهَا أمْثَالِي
إِنْ تَرَيْنِي تَغَيَّرَ الرَّأسُ مِنِّي ... وعَلاَ الشَّيْبُ مَفْرِقِي وقَذَالِي
فبِمَا أدْخُلُ الخِبَاءَ على مَهْـ ... ـضُومَةِ الكَشْحِ طِفْلَةٍ كالغَزَالِ
فَتَعَاطَيْتُ جِيدَهَا ثُمَّ مَالَتْ ... مَيَلانَ الكَثِيبِ بَيْنَ الرِّمَالِ
ثُمَّ قالتْ : فِدًى لِنَفْسِكَ نَفْسِي ... وفِدَاءٌ لِمَالِ أهْلِكَ مَالِي

الكشح : الخصر . وقوله مهضومة : أراد لطيفة . والطفلة : الرخصة الناعمة

وخرج عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه من داره يوما ، وقد جاء عامر ابن عبد قيس فقعد فى دهليزه ، فلما رأى شيخاً دميماً أشعث طاً فى عباءة فانكره وأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابى، أين ربك ؟ قال : بالمرصاد

والشغي : تراكب الاسنان واختلافها . نط : صغير اللحية

يقال أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس ونظر معاوية الى النَّخَّار بن أوس العُذْرِيّ الخطيب الناسب فى عباءة فى ناحية من مجلسه ، فانكره وأنكر مكانه ، زراية منه عليه ، فقال : من هذا ؟ فقال النخار : يا أمير المؤمنين ، ان العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها

قال ونظر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى هَرِم بن قُطْبَةَ ملتفا فى بت فى ناحية المسجد ، ورأى دمامته وقلته ، وعرف تقديم العرب له فى الحكم والعلم ، فأحب ان يكشفه ويسبر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا اليك اليوم أيهما كنت تنفر؟ يعنى علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل . فقال : يا امير المؤمنين ، لو قلت فيهما كلمة لأعدتها جذعة (١) فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لهذا العقل تحاكمت اليك العرب . ونظر عمر الى الأحنف وعنده الوفد ، والأحنف ملتف فى بتّ له ، فترك جميع القوم واستنطقه ، فلما تبعّق منه ما تبعّق ، وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهب ، لم يزل عنده فى علياء ، ثم صار الى أن عقد له الرياسة ثابتاً له ذلك الى أن فارق الدنيا

ونظر النعمان بن المنذر الى ضَمْرَةَ بن ضَمْرَةَ فلما رأى دمامته وقلته قال : تسمع بالمعيدى لا أن تراه . هكذا تقول العرب . فقال ضمرة : أبيت اللعن ، إن الرجال لا تكال بالقفزان ، وانما المرء بأصغريه لسانه وقلبه . وكان ضمرة خطيباً ، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيداً

وكان لزَّمِقُ بن زَيْدٍ مدح أبا جُبيلة الغسانى ، وكان الرمق دميما قصيراً ، فلما أنشده وحاوره قال : عسل طيب فى ظرف سوء

قال وتكلم عَلْبَاء بن الْهَيْثَمِ السَّدُوسِيُّ لدى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وكان علباء أعور دميما ، فلما رأى براعته وسمع بيانه أقبل عمر يصعد فيه بصره ويحدّره ، فلما خرج قال عمر : لكل أناس فى جميلهم خبرة

قال أبو عثمان : وأنشدت سهل بن هرون قول سلمة بن خُرْشُبٍ وشعره الذى أرسل به إلى سُبيع التغلبي فى شأن الرَّهن التى وضعت على يديه فى قتال عبس وذبيان ، فقال سهل بن هرون : والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى أبى موسى الاشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم . والقصيدة قوله :

(١) يعنى لأعاد فتنة المنافرة بين قبائلهما ، كما كانت فى أول أمرها

أبْلِغْ سُبَيْعاً وأنْتَ سَيِّدُنا ... قِدْماً وأوْفَى رجَالِنَا ذِمَما

أنَّ بَغِيضاً وأنَّ إخْوَتَها ... ذُبْيَانَ قَدْ ضَرَّمُوا الَّذِي اضْطَرَما

نُبِّئْتُ أنْ حَكَّمُوكَ بَيْنَهُمُ ... فَلاَ يَقُولُنَّ بِئْسَ ما حَكَمَا

إنْ كُنتَ ذَا خِبْرَةٍ بِشَأْنِهِمِ ... تَعْرِفُ ذا حَقِّهِمْ ومَنْ ظَلَمَا

وتُنْزِلُ الأمْرَ في مَنَازِلِهِ ... حُكْماً وعِلْماً وتُحْضِرُ الفَهَما

وَلا تُبَالِي مَنِ الْمحِقُّ وَلاَ الْـ ... ـبَطِلُ لاَ إلَّةً ولا ذِمَما

فاحْكُمْ وأنْتَ الحَكِيمُ بَيْنَهُمُ ... لَنْ تَعْدَمُوا الحُكْمَ ثابِتاً صَتِما

واصْدَعْ أدِيمَ السَّواءِ بَيْنَهُمُ ... على رِضَا مَنْ رَضِيَ ومَنْ رُغِما (١)

إنْ كانَ مالاً فَفُضَّ عِدَّتَهُ ... مالاً بِمَالٍ وإنْ دَماً فَدَماً

حَتَّى تَرَى ظاهِرَ الحُكُومَةِ مِثْـ ... ـلَ الصُّبْحِ جَلَّى نَهارُهُ ظُلَما

هٰذَا وإنْ لَمْ تُطِقْ حُكُومَتَهُمْ ... فانْبِذْ إلَيهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَما

الصتم: الصحيح القوى ، يقال : رجل صتم ، اذا كان شديداً

وقال العايشى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعلم الناس بالشعر ، ولكنه إذ ابتلى بالحكم بين النجاشى والعجلانى ، وبين الحطيئة والزبرقان ، كره أن يتعرض للشعراء ، واستشهد رجالا للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سباهم . فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم ، وكان الذى ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعاً للفريقين ، ويكون هو قد تخلص بعرضه سالما ، فلما رآه من لاعلم له يسأل هذا وهذا ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره . ولقد أنشدوه شعراً لزهير ، وكان لشعره مقدما ، فلما انتهوا الى قوله :

وإنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاثٌ ... يَمِينٌ أوْ نِفَارٌ أوْ جِلاءُ

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها — :

وانّ الحقّ مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء ؟

(١) فى الاصل « زعما » وخطأها بين والصواب « رُغما » كما أثبتناه

يردد البيت من التعجب

وأنشدوه قصيدة عَبْدَةَ بنِ الطَّبِيبِ الطويلة التى على اللام ، فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمَرْءُ ساعٍ لِأَمرٍ ليسَ يُدْرِكُهُ ... والعَيْشُ شُحٌّ وإِشْفاقٌ وتَأْمِيلُ (١)

قال عمر متعجباً : والعيشُ شحّ واشفاق وتأميل ؟

يعجبهم من حسن ما قسم وفصل . وأنشدوه قصيدة أبى قيس بن الاسلت التى على العين وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكَيْسُ والقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ ال ... إِشْفاقِ والفَهَّةِ والهَاعِ (٢)

أعاد عمر البيت وقال :

الكيس والقوّه خير من ال ... إشفاق والفهّة والهاع

وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه . قال محمد بن سلام الجمحى عن بعض أشياخه : قال كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر

وقال عمر بن العلاء : كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعر غيرهم ، فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا الى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر . ولذلك قال الاول : الشعر أدنى مُروءة السرىّ ، وأسرى مُروءة الدنى

قال : ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ، ولو كان فى الدهر الاول مازاده ذلك الا رفعة

وروى مجالد عن الشعبى قال : ما رأيت مثلى ، ما أشاء أن ألقى رجلا أعلم منى بشىء الا لقيته . وقال الحسن البصرى : يكون الرجل عابدا ولا يكون عاقلا ، ويكون عابدا عاقلا ولا يكون عالما ، وكان مسلم بن يسار عاقلا عابدا عالما . وكان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة . وذكرت البصرة

(١) انظر القصيدة بأكملها مشروحة بقلمنا فى المفضليات التى شرحناها ونشرناها حديثاً

(٢) فى المفضليات : الفكة ، بدل الفهة ، وانظر القصيدة بها مشروحة بقلمنا

فقيل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزنى. والذين بثوا العلم فى الدنيا أربعة : قتادة، والزهرى، والاعمش، والكلبي. وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى ، فغلب قتادة الزهرى ، فقيل لسليمان فى ذلك فقال : انه فقيه مليح . فقال القحذمى : لا ، ولكنه تعصب للقرشية ولانقطاعه اليهم ولروايته فضائلهم . وكان الاصمعى يقول :وصلت بالعلم، ونلت بالملح . وكان سهل بن هرون يقول : اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكاد ان يجتمعان فى واحد،وأعسر من ذلك أن يجتمع بلاغة الشعر و بلاغة القلم . والمسجديون(١) يقولون: من تمنى رجلا حسن العقل ، وحسن اللسان ، وحسن القلم ، تمنى شيأ عسيرا

﴿ باب ﴾

وكانوا يعيبون النوك والعي والحمق وأخلاق النساء والصبيان

قال الشاعر :

إذا ما كُنْتَ متَّخذاً خليلاً ... فلا تثقَنْ بكُلِّ أخى إخاءِ
فانْ خُيِّرْتَ بَيْنَهُمُ فألصِقْ ... بأهْلِ العَقْلِ مِنْهُمْ والحَيَاءِ
فانَّ العَقْلَ لَيْسَ لَهُ إذا ما ... تَفَاضَلَتِ الفَضَائِلُ مِنْ كِفَاءِ
فانَّ النَّوْكَ لِلأحْسَابِ غَوْلٌ ... وأهْوَنُ دائِهِ داءُ العِيَاءِ
ومَنْ تَرَكَ العَواقِبَ مُهْمَلاتٍ ... فأيْسَرُ سَعْيِهِ سَعْيُ العَنَاءِ
فَلا تَثِقَنَّ بالنَّوكى لِشَيْءٍ ... ولَوْ كانُوا بَنِى ماءِ السَّماءِ
فَلَيْسُوا قابِلِى أدَبٍ فَدَعْهُمْ ... وكُنْ مِنْ ذَاكَ مُنْقَطِعَ الرَّجَاءِ

وقال الاخر فى التضييع والنوك :

فَعِشْ فى حَدِّ أنْوَكَ ساعَدَتْهُ ... مَقَادِيرٌ يُخالِفُهَا الصَّوَابُ
ذَهابُ المَالِ فِى حَمْدٍ وأجْرٍ ... ذَهَابٌ لايقَالُ لَهُ ذَهَابُ

وأنشد فى ذلك :

(١) كان المسجديون قوم يجلسون فى مسجد البصرة كما كان أهل الصفة يجلسون فى مسجد المدينة ولهم أحاديث

أرى زمناً نوكاه أسعد أهله ... ولكنما يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه والرأس تحته ... فكب الأعالي بارتفاع الأسافل

وقال الآخر :

ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى ... ولم أر مثل المال أرفع للرذل
ولم أر عزاً لامرىء كعشيرة ... ولم أر ذلاً مثل نأي عن الأهل
ولم أر من عدم أضر على امرىء ... إذا عاش وسط الناس من عدم العقل

وقال الاخر :

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم ... ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
فإني رأيت المرء يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وقال الاخر :

وأنزلني طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت امرا لا اشاكله
فحامقته حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقال بشر بن المعتمر وأنشد :

واذا الغبي رأيته مستغنياً ... أعيا الطبيب وحيلة المحتال

وأنشدني آخر :

وللدهر أيام فكن في لباسه ... كلابسه يوماً أجد وأخلقا
وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم ... وإن كنت في الحمقى فكن أنت أحمقا

وأنشدني آخر :

ولا تقربي يابنت عمي بوهة ... من القوم دفناساً غبياً مفندا
وإن كان أعطى رأس ستين بكرة ... وحكماً على حكم وعبداً مولدا
ألا فاحذري لاتوردنك هجمة ... طوال الذرى جبساً من القوم قعددا

وأنشدنى آخر :

كَسا اللهُ حَيَّىْ تَغْلِبَ ابْنَةَ وائِلٍ ... مِنَ اللُّؤْمِ أَظْفاراً بَطِيئاً نُصُولُها

إِذا ارْتَحَلُوا عَنْ دارِ ضَيْمٍ تعاذَلُوا ... عَلَيْها وَرَدُّوا وَفْدَهُمْ يَسْتَقِيلُها

وأنشدنى آخر :

وإِنَّ عَناءً أَنْ تُفَهِّمَ جاهِلاً ... وَيَحْسَبَ جَهْلاً أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ

وقال جرير :

وَلاَ يَعْرِفُونَ الشَّرَّ حتّى يُصِيبَهُمْ ... ولا يَعْرِفُونَ الأَمْرَ الاّ تَدَبُّرا

وقال الأعرج المعنى الطائى :

لَقَدْ عَلِمَ الأَقوامُ أَنْ قَدْ قَدَرْتُمُ ... وَلَمْ تَبْدَأُوهُمْ بالمَظالِمِ أَوَّلاَ

فَكُونُوا كَدَاعِي كَرَّةٍ بَعْدَ فَرَّةٍ ... أَلاَ رُبَّ مَنْ قَدْ فَرَّ ثُمَّتَ أَقْبَلاَ

فَانْ أَنْتُمُ لَمْ تَفْعَلُوا فَتَبَدَّلُوا ... بِكُلِّ سِنانٍ مَعْشَرَ العُرْبِ مِغْزَلا

وأَعطُوهُمُ حكمَ الصَّبِيِّ بأَهلِهِ ... وانِّى لأَرجُو أَن يَقُولوا بأَنَّ لاَ

ويقال : أظلم من صبى ، وأكذب من صبى ، وأخرق من صبى

وأنشد :

وَلاَ تَحكُمَا حُكمَ الصَّبِيِّ فإِنَّه ... كَثِيرٌ على ظَهرِ الطَّرِيقِ مَجاهِلُه

سئل دَغفَلٌ عن بنى عامر فقال : أعناق ظباء ، وأعجاز نساء . قيل : فما تقول فى أهل اليمن ؟ قال : سَيِّدٌ وأنوكُ

﴿ باب في ذكر المعلمين ﴾

من أمثال العامة : أحمق من مُعلم كتاب . وقد ذكرهم صقلاب [فقال] :

وَكَيفَ يُرجَّى العَقلُ والرَّأىُ عِندَ مَن ... يَرُوحُ على أُنثى وَيَغدُو على طِفلِ

وفى قول بعض الحكماء : لا تستشيروا معلما ، ولا راعى غنم ، ولا كثير القعود مع النساء . وقال: لا تدع أم صبيك تضربه ،فانه أعقل منها،وان كانت أسن منه .

وقد سمعنا فى الامثال : أحمق من راعى ضان ثمانين

فاما استحماق رُعاة الغنم فى الجملة، فكيف يكون ذلك صواباً وقد رعى الغنمَ عدّةٌ من جِلة الانبياء عليهم السلام ؟ واعمرى ان الفدّادين من أهل الوبر ورُعاة الابل ليتلومون على رعاة الغنم، ويقول أحدهم لصاحبه : إن كنت كاذبا فحلبت قاعداً

وقال الآخر :

تَرَى حَالِبَ المِعزَى اذَا سُرَّ قاعِداً وَحالِبهنَّ القائِمُ المتطاوِلُ

قالت امرأة من غامد فى هزيمة ربيعة بن مُكدّم لجمع غامد وحده :

أَلاَ هَل أتاهَا على نأيِها بما فَضَحَت قَومَها غَامِدُ

تَمَنَّيْتُمُ مِائَتَيْ فارِسٍ فَرَدَّكُمُ فارِسٌ واحِدُ

فَلَيتَ لَنا بارتِباطِ الخُيُولِ ضأناً لهَا حَالِبٌ قاعِدُ

وقد سمعنا قول بعضهم : الحُمق في الحاكة والمُعلمين والغزالين . قال : والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى ، وكذلك الغزالون، لان الأحمق هو الذى يتكلم بالصواب الجيد ثم يجىء بخطأ فاحش ، والحائك ليس عنده صواب جيد فى فعال ولا مقال، الا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب ، وليس هو من هذا فى شيء

﴿وهذا باب آخر﴾

ويقال : فلان أحمق . فاذا قالوا : مائق، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه . وكذلك إذا قالوا : أنوكُ . وكذلك اذا قالوا : رقيع . ويقولون: فلان سليم الصدر . ثم يقولون : غبيٌّ . ثم يقولون : أبله . وكذلك اذا قالوا : معتوه ، ومسلوس . وأشباه ذلك

قال أبو عبيدة :يقال للفارس : شجاع . فاذا تقدم ذلك قيل :بطل . فاذا تقدم شيئا قيل : بهمة . فاذا صار الى الغايه قيل : أليسُ

قال العجاج : أليسُ عَن حَوبائه سَخيُّ

وهذا المأخذ يجرى فى الصفات كلها من : جود ، وبخل ، وصلاح ، وفساد ، ونقصان ، ورجحان . وما زلت أسمع هذا القول فى المعلمين .والمعلمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة الى تعليم أولاد الملوك أنفسهم

المرشحين للخلافة ، فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل على بن حمزة الكسائى ومحمد بن المستنير (١) الذى يقال له قُطرب وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى ؟ ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ، ولا على الطبقة التى دونهم . فان ذهبوا إلى مُعلمى كتاتيب القُرى فان لكل قوم حاشية وسَفلة ، فما هم فى ذلك إلا كغيرهم .

وكيف تقول مثل ذلك فى هؤلاء وفيهم الفقهاء ، والشعراء ، والخطباء ، مثل : كميت ابن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد ، وعطاء بن أبى رباح

ومثل عبد الكريم بن أبى أمية ، وحسين المعلم ، وأبى سعيد المعلم ؟

ومن المعلمين : الضحاك بن مزاحم أبو معبد الجهنى ، وعامر الشعبى ، فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان ، وكان أبو معبد يعلم سعيدا

ومنهم أبو سعيد المؤدب ـ وهو غير ابى سعيد المعلم ـ وكان يحدث عن هشام ابن عروة وغيرهم ؟

ومنهم عبد الصمد بن عبد الاعلى . وكان معلم ولد عتبة بن أبى سفيان

وكان اسماعيل بن على ألزم بعض بنيه عبد الله بن المقفع ليعلمه ؟

وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما

ومنهم محمد بن السكن ، وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبى الوزير وأبى عدنان المعلمين ؟ وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا

وقد قال الناس فى أبي البيداء ، وفى أبى عبد الله الكاتب ، وفى الحجاج بن يوسف وأبيه ما قالوا ؟

وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف

ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول . قالوا : أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل . وكتب الحجاج إلى المُهلب يُعجله فى حرب الازارقة ويُسمّعهُ ، فكتب اليه المهلب : ان البلاء كل البلاء أى يكون الرأى لمن يملكه ، دون من يبصره

---

(١) محمد بن المستنير سماه سيبويه « قطرب » أخذ النحو عن سيبويه وعن عيسى ابن عمر ، وأخذ علم الكلام عن النظام ، واتصل بابى دلف العجلى وأدب ولده ، وله تصانيف كثيرة . وكان ابن السكيت لا يوثقه . مات سنة ٢٠٦ هـ ٨٢٤ م

﴿ وباب آخر ﴾

قال بعض الربانيين من الادباء ، وأهل المعرفة من البلغاء ، ممن يكره التشادق والتعمق ، ويبغض الاغراق فى القول والتكلف والاجتلاب ، ويعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول ، وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذى يورث الاقتدار من التحكم والتسلط ، والذى يمكن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعانى والخلابة وحسن المنطق ، وقال فى بعض مواعظه : أنذركم حسن إلالفاظ وحلاوة مخارج الكلام ، فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا ، وأعاره البليغ مخرجا سهلا ، ومنحه المتكلم قولا متعشقا ، صار فى قلبك أحلى ، ولصدرك أملا ، والمعانى اذا كُسيت الالفاظ الكريمة ، وألبست الاوصاف الرفيعة ، تحولت فى العيون عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق أقدارها ، بقدر ما زينت وعلى حسب ما زُخرفت ، فقد صارت الالفاظ فى معنى المعارض ، وصارت المعانى فى معنى الجوارى ، والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوى ، ومدخل خدع الشيطان خفى

فاذكر هذا الباب ولا تنسه ، وتأمله ولا تفرط فيه ، فان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يقل للاحنف — بعد أن احتبسه حولا مجرّماً ليستكثر منه وليبالغ في تصفح حاله ، والتنقير عن شانه — ان رسول الله ﷺ قد كان خوّفنا كل منافق عليم ، وقد خفت أن تكون منهم — إلا لما كان راعه من حسن منطقه ، ومال اليه لما رأى من رفقه وقلة تكلفه ؟ ولذلك قال رسول الله ﷺ « ان من البيان لسحرا »

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن فى طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ، ومنطق حسن : هذا والله السحر الحلال . وقال رسول الله ﷺ « لا خلابة » فالقصد من ذلك أن تجتنب السوقىّ والوحشىّ ، ولا تجعل همك في تهذيب الالفاظ ، وشغلك فى التخلص الى غرائب المعانى ، وفى الاقتصار بلاغ ، وفى التوسط مجانبة للوعورة ، والخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه ، وقد قال الشاعر :

عليكَ بأوْساطِ الأمُورِ فانّها نَجاةٌ ولا تَرْكَبْ ذَلُولاً ولا صَعْبا

وقال الآخر :

لا تَذْهَبَنَّ فى الأمُورِ فَرَطا لا تَسألَنَّ إنْ سألْتَ شَطَطا

وكُن منَ النّاسِ جَميعا وسَطًا

وليكن كلامك بين المقصر والغالى ، فانك تسلم من الهجنة عند العلماء ، ومن فتنة الشيطان . وقال أعرابى للحسن : علمنى دينا وسطا ، لا ذاهبا شطوطا ، ولا هابطا هبوطا . فقال الحسن : لئن قلت ذلك إن خير الامور أوساطها . وجاء فى الحديث « خالطوا الناس وزايلوهم » وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته : وخير الامور أوساطها ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها . وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : كن فى الدنيا وسطا وامش جانبا . وكانوا يقولون : إكره الغلو كما تكره التقصير . وكان رسول الله ﷺ يقول لاصحابه « قولوا بقولكم ولا يستهوينكم عليكم الشيطان » وكان يقول « وهل يكب الناسَ على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم ؟ »

﴿ باب من الخطب القصار ﴾

(من خطب السلف ومواعظ النساك وتأديب من تأديب العلماء)

قال رجل لابى هريرة النحوى : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه . قال: كفى بترك العلم إضاعة . وسمع الاحنفُ رجلا يقول : التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر . فقال الاحنف : الكبير أكبر الناس عقلا ولكنه أشغل قلبا . وقال أبو الدرداء : مالى أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ؟

وقال رسول الله ﷺ « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »

ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه حين دَلّى زيد بن ثابت فى القبر : من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر ، فهكذا ذهابه

وقال بعض الشعراء لبعض العلماء :

أبَعُدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الفِرَارَ فَمَا ... جاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهى بِكَ القَدَرُ

لَوْ كانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ ... نَجّاكَ مِمّا أصابَكَ الحَذَرُ

يَرْحَمُكَ اللهُ مِنْ أخِي ثِقَةٍ ... لَمْ يَكُ فِي صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرُ

فَهٰكَذَا يَفْسُدُ الزَّمَانُ وَيَفْـ ـنَى الْعِلْمُ مِنْهُ وَيَدْرُسُ الأَثَرُ

وقال قتادة : لو كان أحدٌ مكتفيا من العلم لاكتفى نبي الله موسي عليه السلام إذ قال للعبد الصالح « هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟ »

أبو العباس التميمى قال: قال طاوس : الكلمة الصالحة صدقة

وعن عبد الله بن ثمامة بن انس عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال « فضل لسانك تعبر به عن أخيك الذى لا لسان له صدقة »

وقال الخليل : تَكَثَّر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ . وقال الفضيل : نعمت الهديةُ الكلمةُ من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها الى أخيه . وكان يقال : اجعل ما فى الكتب بيت مال ، وما فى قلبك للنفقة . وكان يقال : يكتب الرجل أحسن ما سمع ، ويحفظ أحسن ما كتب . وقال أعرابى : حرف في قلبك خير من عشرة فى طومارك . وقال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء بشيء أفضل من علم الى حلم ، ومن عفو الى قدرة . وكان ميمون بن سياه اذا جلس الى قوم قال: إنا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتجمل بها . وفخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية : أسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيئا بسيفه الا وقد أدركت أكثر منه بلسانى . وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدموا اليه رجلا ليضرب عنقه قال : والله لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو . فقال الحجاج : أفّ لهذه الجيف ، أما كان فيها أحدٌ يحسن مثل هذا ؟ وأمسك عن القتل

وقال بشير الرحال: انى لاجد فى قلبي حراً لا يذهبه الا بردُ العدل أو حر السنان.

وقدموا رجلا من الخوارج الى عبد الملك لتضرب عنقه ـ ودخل على عبد الملك ابن صغيرٌ له قد ضربه المعلم وهو يبكى ـ فهمَّ عبد الملك بالمعلم فقال : دعه يبكى فانه أفتح لجرمه، وأصح لبصره ، وأذهب لصوته . فقال له عبد الملك : أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ؟ قال : ما ينبغى للمسلم أن يشغله عن قول الحق شيء . فأمر بتخلية سبيله . وقال ابرهيم بن أدهم : أعربنا فى كلامنا فما لحن حرفا ، ولحنا في أعمالنا فما تعرب حرفا . وأنشد :

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينُنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرَقِّعُ

وقال زياد على المنبر : ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يقطع بها ذنب عنزٍ مصور

لو بلغت إمامه سفك بها دمه : وعزل عمر زياداً عن كتابة أبي موسى في بعض قدماته فقال له زياد : أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكن أكره أن أحمل على العامة فضل عقلك . و بلغ الحجاج موت أسماء بن خارجة فقال : هل سمعتم بالذى عاش ما شاء ومات حين شاء ؟

وكان يقال : كدر الجماعة خير من صفو الفرقة . قال أبو الحسن : مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المنتوف وقد كان سفه عليه ثم أعرض عنه فتعلق بثو به فقال : يا هناه ، انا لم نجد لك اذا عصيت الله فينا خيرا من أن نطيع الله فيك .

وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين قال عمر : انى والله لا أدع حقا لله لشكاية تظهر ، ولا لغضب يحتمل ، ولا لمحاباة بشر ، وإنك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى سعد بن أبى وقاص : ياسعد سعد بنى وهيب ، ان الله اذا احب عبداً حببه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلم أن مالك عند الله مثل الذى لله عندك .

ومات لعمر بن ذر ابن فقال : أى بنى ، شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك . وقال رجل من مجاشع : كان الحسن يخطب فى دم فينا فأجابه رجل فقال : وقد تركت ذلك لله ولوجوهكم . فقال الحسن : لا تقل هكذا ، بل قل : لله ثم لوجوهكم ، وآجرك الله

ومر رجل بأبى بكر رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا ، عافاك الله . فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل : لا ، وعافاك الله .

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا عن شيء فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم ، إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل : لا علم لى . وكان أبو الدرداء يقول : أبغض الناس إلىّ إن أظلمه من لا يستعين علىّ باحد الا بالله .

وذكر ابن ذر الدنيا فقال : كأنكم انما زادكم فى حرصكم عليها ذم الله عز وجل لها . ونظر أعرابى الى مال له كثير من الماشية وغيرها فقال : يُنعة ، ولكل يُنعة استحشاف . فباع ما هنالك من ماله ثم لزم ثغرا من ثغور المسلمين حتى مات فيه . وتمنى قوم عند يزيد الرقاشي فقال : أتمنى كما تمنيتم ؟ قالوا : تمنه . قال : ليتنا لم نخلق ،

وليتنا اذ خلقنا لم نعص ، وليتنا اذ عصينا لم نمت ، وليتنا اذ متنا لم نُبعث ، وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب ، وليتنا اذ حوسبنا لم نعذب ، وليتنا اذ عذبنا لم نخلد .

وقال الحجاج : ليت الله اذ خلقنا للآخرة كفانا أمر الدنيا ؟ فرفع عنا الهمّ بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح ، أوليته اذ وقعنا فى هذه الدار كفانا أمر الآخرة فرفع عنا الاهتمام بما ينجى من عذابه . فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن حسن ، أو على بن الحسين فقال : ما علما شيئا فى التمنى ، ما اختار الله فهو خير . قال أبو الدرداء : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ، ولا ينال ما عنده الا بتركها .

قال شريح : الحدة كناية عن الجهل . وقال أبو عبيدة : العارضة كناية عن البذاء واذا قالوا : فلان مقتصد ، فتلك كناية عن البخل . واذا قالوا للعامل مستقص ، فهو كناية عن الجور . وقال حبيب بن أوس الشاعر أبو تمام الطائى :

كذبتُم ليس يُزْهَى مَن لهُ حَسَبٌ ... ومَن لهُ نَسَبٌ عمَّن لهُ أدبُ

انّى لَذُو عَجَبٍ منكُم أُردِّدُهُ ... فيكم وفى عَجَبى من زهوِكم عَجَبُ

لَجاجةٌ بى فيكم ليسَ يُشبِهُها ... الاّ لجاجتكُم فى أنّكمْ عربُ

وقيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءك عن ابنك ؟ قالت : ان مصيبته آمنتنى من المصائب بعده . وقال سعيد بن عثمان بن عفان لطويس المغنى : أينا أسن ، أنا أو أنت ياطويس ؟ فقال : بأبى أنت وأمى ، لقد شهدت زفاف أمك المباركة الى أبيك الطيب . فانظر الى حذقه والى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل : بزفاف أمك الطيبة الى أبيك المبارك ؟ وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى .

وقال رجل من أهل الشام . كنت فى حلقة أبى مسهر فى مسجد دمشق ، فذكرنا الكلام وبراعته ، والصمت ونباله ، قال : كلا ان النجم ليس كالقمر ، انك تصف الصمت بالكلام ، ولا تصف الكلام بالصمت . وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيبا : يابنى ، اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب ، واذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب . قال : يا أبة ، فان أنا أكثرت وأكثرت ؟ يعنى كلاما وصوابا ، قال : يابنى ، ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك .

وقال ابن عباس : لولا الوسواس ما باليت أن لا أكلم الناس .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما تستبقوا من الدنيا تجدوه فى

الآخرة . وقال رجل للحسن : إنى أكره الموت . قال :ذلك أنك أخرت مالك ، ولو قدمته لسرك أن تلحق به . وقال عامر بن الظرب العدوانى : الرأى نائم والهوى يقظان ، فمن هنا يغلب الهوى الرأى . وقال : مكتوب فى الحكمة : أشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكر لك . وقال أبو الدرداء : أيها الناس ، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا، أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا .

وقال عبد الملك على المنبر : ألا تنصفونا يامعشر الرعية ؟ تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر،ولم تسيروا فى أنفسكم ولا فينا سيرة رعية أبى بكر وعمر ؟ نسأل الله أن يعين كلا على كل . وقال رجل من العرب : أربع لا يشبعن من أربع: أنثى من ذكر، وعين من نظر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر

وقال موسى عليه السلام لاهله « امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ » فقال بعض المعترضين : فقد قال « أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ » قال أبو عقيل : لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل، ومن الجائع المقرور

وقال لبيد بن ربيعة :

ومَقَامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ ... بِبَيَانٍ وَلِسَانٍ وَجَدَلْ

لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ ... زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلْ

ولَدَى النُّعْمَانِ مِنِّي مَوطِنٌ ... بَيْنَ فَانُورٍ أُفَاقٍ فَالدَّحَلْ

إِذْ دَعَتْنِي عَامِرٌ أَنْصُرُهَا ... فَالْتَقَى الأَلْسُنَ كَالنَّبْلِ الدُّوَلْ

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رِشْقاً صَائِباً ... لَيْسَ بِالْعُصْلِ وَلاَ بِالْمُقْتَعِلْ

وانْتَضَلْنَا وابْنُ سَلْمَى قَاعِدٌ ... كَعَتِيقِ الطَّيرِ يُغْضِي وَيُجِلْ

وَقَبِيلٌ مِنْ أُكَيزٍ شَاهِدٌ ... رَهْطَ مَرْجُومٍ وَرَهْطَ ابْنِ الْمُعَلْ

وقال :

وأَبْيَضُ يَجْتَابُ الخُرُوقَ عَلَى الْوَجَى ... خَطِيباً إِذَا الْتَفَّ الْمَجَامِعُ فَاصِلاَ

وقال لبيد :

لوْ كانَ حيٌّ في الحياةِ مُخَلَّداً ... فِي الدَّهْرِ أدْرَكَهُ أبُو يكْسُومِ
بِكَتَائِبٍ خُرْسٍ تَعَوَّدَ كَبْشُهَا ... نَطْحَ الْكِباشِ شَبِيهَةٍ بِنُجُومِ
وَلَقَدْ بَلَوْتُكَ وَابْتَلَيْتُ خَلِيقَتِي ... ولَقَدْ كَفَاكَ مُعَلِّمِي تَعْلِيمِي

وقد قال أيضا لبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أكْنَافِهِمْ ... وبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ
يَتَأكَّلُونَ مَغَالَةً وخِيانَةً ... ويُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإنْ لَمْ يَشْغَبِ (١)

وقال زيدُ بنُ جُندب فى ذكر الشغب :

ما كانَ أغْنَى رِجالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ ... عنِ الجِدَالِ وأغْنَاهُمْ عَنِ الشَّغَبِ!

وقال آخر فى الشغب :

إنِّى إذَا عَاقَبْتَ ذُو عِقَابٍ ... وإنْ تُشَاغِبْنِي فَذُو شِغَابِ

وقال أحمر بن العمرَّد :

وكَمْ حَلَّهامِنْ تَيْحَانٍ سَمَيْذَعٍ ... مُصافِي النَّدَى ساقٍ بِسَهْمَاءَ مُطْعِمِ (٢)
حَوَى البَطْنَ مِتْلافٍ إذا هَبَّتِ الصَّبَا ... على الأمْرِ غَوَّاصٍ وفِي الحَيِّ شَيْظَمِ (٣)

وقال :

هلْ لامَنِى قَوْمٌ لِمَوْقِفِ سَائِلٍ ... أوْ فى مخاصمةِ اللَّجُوجِ الاصْيَدِ

وقال فى التطبيق :

فَلَمَّا أنْ بَدَا القَعْقَاعُ لَجَّتْ ... على شَرَكٍ تُنَاقِلُهُ نِقَالاَ
تَعَاوَرْنَ الحَدِيثَ وطَبَّقَتْهُ ... كَما طَبَّقْتَ بِالنَّعْلِ المِثَالا

وهذ التطبيق غير التطبيق الاول

(١) المغالة : الاغتيال . (٢) التيحان هنا الذى يتاح للامور فيعرض لقضائها. السميذع : السيد الكريم (٣) الشيظم : الشبيه بالهزبر

وقال آخر :

لو كُنْتُ ذا عِلْمٍ عَلِمْتُ وكيفَ لى ... بِالعِلْمِ بَعْدَ تَدَبُّرِ الأَمْرِ

وقال المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة:

قال لقمان لابنه : يا بنى ، إنى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت .

وقال الشاعر :

ما إنْ نَدِمْتُ عَلى سكُوتى مَرَّةً ... ولَقَدْ نَدِمْتُ عَلى الكلام مِرَارا

وقال آخر :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ ... وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ

إِنَّما المُسْلِمُ مَنْ ... أَلْجَمَ فاهُ بِلِجَامِ

وقال آخر فى التحذير والاحتراس :

اَخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ ... وانْفِثْ بالنَّهارِ قَبْلَ الكلامِ

وقال فى مثل ذلك:

لا أسألُ النّاسَ عَمَّا فى ضَمَائِرِهِمْ ... ما في ضَمِيرِى لَهمْ مِنِّى سَيَكْفِينِي

وقال حَمزةُ بنُ بَيضٍ (١)

لَمْ يَكُن عَنْ جِنايةٍ لَحَقَتْنِي ... لاَ يَسَارِى وَلاَ يَمِينِى جَنَتْنِي

بَلْ جَنَاهَا أَخٌ علىَّ كَرِيمٌ ... وعلى أَهْلِهَا بَرَاقِشُ تَجْنِي

لان هذه الكلبة ـ وهى تراقش ـ انما نبحت غزيا وقد مروا من ورائهم، وقد رجعوا خائبين مخفقين ، فلما نبحتهم استدلوا بنباحها على أهلها فاستباحوهم ، ولو

(١) حمزة بن بيض، شاعر إسلامى كوفى من شعراء الدولة الاموية ، وكان خليعاً ماجناً يعد من فحول طبقته . وكان منقطعاً الى المهلب بن أبى صفرة ثم الى أبان ابن الوليد و بلال بن أبى بردة، وأفاد مالاعظيما ، ولم يدرك الدولة العباسية .

سكتت كانوا قد سلموا . فضرب ابن بيض بها المثل

وقال الاخطل :

تَنِقُّ بِلاَ شيءٍ شُيُوخُ مُحارِبٍ ... ومَا خِلْتُهَا كانَتْ تَرِيشُ ولاَ تَبْرِى

ضَفَادِعُ فِي ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجاوَبَتْ ... فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ النَّهْرِ

النقيق: صياح الضفادع .

وقالوا : الصمت حكم وقليل فاعله . وقالوا: استكثره من الهيبة صامت. وقيل لرجل من كلب طويل الصمت : بحق ماسمتكم العلماء خُرسَ العرب . فقال : أسكت فأسلم ، وأسمع فاعلم . وكانوا يقولون : لا تعدلوا بالسلامة شيئاً . ولا تسمع الناس يقولون: جُلد فلان حين صمت ، ولا قُتل حين سكت . وتسمعهم يقولون : جلد فلان حين قال كذا وكذا ، وقُتل حين قال كذا وكذا . وفى الحديث المأثور : رحم الله من سكت فسلم ، أو قال خيراً فغنم . والسلامة فوق الغنيمة ، لأن السلامة أصل والغنيمة فرع .

وقال النبي ﷺ « إن الله يبغض البليغ الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها »

وقيل : إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين : إنما عاب النبي ﷺ المتشادقين والثرثارين ، والذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها ، والاعرابى المتشادق، وهو الذى يصنع بفكيه وشدقيه مالا يستجيزه أهل الادب من خطباء أهل المدر ، فمن تكلف ذلك منهم فهو أعيب، والذم له ألزم . وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ، ولم يكن الناس جميعاً يتمثلون بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع ، ومدار العلم على الشاهد والمثل

وإنما حثوا على الصمت لان العامة الى معرفة خطأ القول أسرع منهم الى معرفة خطأ الصمت . ومعنى الصامت فى صمته أخفى من معنى القائل فى قوله ، وإلا فالسكوت عن قول الحق ، فى معنى النطق بالباطل

ولعمرى ان الناس الى الكلام لأسرع، لان فى أصل التركيب ان الحاجة الى القول والعمل اكثر من الحاجة الى ترك العمل والسكوت عن جميع القول . وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ، ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله ، بل

قد علمنا ان عامة الكلام أفضل من عامة السكوت. وقد قال الله عز وجل « سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ » فجعل سمعه وكذبه سواء

وقال الشاعر :

بَنِي عَدَيٍّ أَلَا يَنْهَى سَفِيهُكُمُ ... إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورُ

وقال الآخر :

فَإِنْ أَنَا لَمْ آمُرْ وَلَمْ أَنْهَ عَنْكُمَا ... فَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلَجَّ وَيَسْتَشْرِي

وكيف يكون الصمت أنفع والايثار له أفضل، ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه، ونفع الكلام يعم ويخص ؟ والرواة لم يرووا سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين. وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت . ومواضع الصمت المحمودة قليلة، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة . وطول الصمت يفسد البيان . وقال بكر بن عبد الله المزنى: طول الصمت حُبسة . كما قال عمر : ترك الحركة عقلة . واذا ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه، وفسد حسه. وكانوا يُرَوُّون صبيانهم الارجاز، ويعلمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت ، وتحقيق الاعراب . لان ذلك يفتق اللهات ، ويفتح الجرم . واللسان اذا اكثرت تحريكه رق ولان ، واذا أقللت تقليبه وأطلت إسكاته جسأ وغلظ . وقال عبابة الجعفى: لولا الدربة وسوء العادة لامرت فتياننا أن يمارى بعضهم بعضاً . وأية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الاعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع .

فلم قال رسول الله ﷺ للنابغة الجعدى « لا يفضُضِ الله فاك ؟ » ولم قال لكعب بن مالك « ما نسى الله لك مقالك ذلك؟ » ولم قال لهيذان بن شيخ « رُبَّ خطيب من عبس ؟ » ولم قال لحسان لما هيج الغطاريف على بنى عبد مناف « والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام ؟ »

وما نشك أنه عليه وعلى آله السلام قد نهى عن المِراء ، وعن التزيد والتكلف، وعن كل ماضارع الرياء أو السمعة والنفج والبذخ ، وعن التهاتر والتشاغب ، وعن المغالبة والمماتنة . فاما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبين الكلام كلام الله، وهو الذى مدح التبيين وأهل التفصيل ؟ وفى هذا كفاية ان شاء الله

قال دغفل بن حنظلة : ان للعلم أربعا : آفة ، ونكدا ، واضاعة ، واستجاعة . فآفته النسيان ، ونكده الكذب ، واضاعته وضعه فى غير موضعه ، واستجاعته

أنك لاتشبع منه . وإنما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثر العلماء،ولخرق سياسة أكثر الرواة ،لان الرواة اذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصلوه وتدبر ماقد دونوه،كان ذلك الازدياد داعيا الى النقصان،وذلك الربح سببا للخسران

وقد جاء فى الحديث « منهومان لا يشبعان : منهوم فى العلم،ومنهوم فى المال »

وقالوا : عَلِّم علمكَ وتعلم علم غيرك ، فاذا أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . وقال الخليل بن أحمد (١) : اجعل تعليمك دراسة لعلمك،واجعل مناظرة المتعلم تنبيها لك على ما ليس عندك . وقال بعضهم ، وأظنه بكر بن عبد الله المزنى: لاتكدوا هذه القلوب ولا تُهملوها ، فخير الكلام ما كان عقب الجمام ، ومن أكره بصره عشى ، وعاودوا الفكر عند نبوات القلوب ، واشحذوها بالمذاكرة ، ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا امتُحنتم ببعض الاستغلاق ، فان من أدام قرع الباب ولج .

وقال الشاعر :

إذا المَرءُ أعْيَتْهُ المُروءةُ نَاشِئاً فَمَطْلَبُهَا كَهْلاً عَلَيهِ شَدِيدُ

وقال الاحنف : السؤدد مع السواد . وتقول الحكماء : من لم ينطق بالحكمة قبل الاربعين لم يبلغ فيها .

وأنشد :

وَدُونَ النَّدَى في كلّ قَلْبٍ ثَنِيَةٌ لهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلُ

وَوَدَّ الفتَى في كل نَيْلٍ يُنِيلُهُ إذا مَا انْقَضى لو أن نَائلَهُ جَزْلُ

وقال الهُذلى :

وانَّ سِيادَةَ الاقْوَامِ فاعْلَمْ لهَا صُعَدَاءُ مطلبُهَا طَويلُ

أتَرْجُو أن تَسُودَ ولنْ تَعَنَّى وكيفَ يَسُودُ ذُو الدَّعةِ البَخيلُ

---

(١) الخليل بن احمد بن عمرو الفراهيدى الازدى يكنى أبا عبد الرحمن : كان اماماً فى اللغة والنحو ، وهو مخترع علم العروض، وأول من صنف فى علم اللغة،وضع كتابه «العين» ولم يتمه ،وكان عفيفاً متزهداً صالحاً،وله كتب كثيرة وشعر ولا بأس به ، ولد بالبصرة سنة ١٠٠ هـ ٧١٨ م وتوفى سنة ١٦٠ هـ ٧٧٦ م

صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : ما رأيت عقول الناس إلا قريبا بعضها من بعض ، الا ما كان من الحجاج وإياس ابن معاوية، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس . أبوالحسن قال : سمعت أبا الضعرى الحارثى(؟) يقول : كان الحجاج أحمق ، بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم : لا تدخلوها . فلما مات دلفوا اليها من قريب . سمعت قحطبةَ الجُشمى يقول : كان أهل البصرة لا يشكون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله ابن الحسن وعبيد الله بن سالم . وقال معاوية لعمرو بن العاص : ان أهل العراق قد قرنوا بك رجلا طويل اللسان قصير الرأى ، فآجد الحز وطبق المفصل ، واياك أن تلقاه برأيك كله .

﴿ باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول ﴾

قال الشاعر :

لَهَا بَشَرٌ مثلُ الحريرِ وَمنطِقٌ رَخيمُ الحواشِي لا هُرَاءٌ ولا نَزْرُ

وقال ابن أحمر :

تَضَعُ الحديثَ على مَوَاضِعِهِ وكلامها من بَعـدِهِ نَزْر

وقال الآخر :

حَدِيثٌ كَطَعْمِ الشَّهْدِ حُلْوٌ صُدُورُهُ وأعْجَازُه الخُطبَانُ دُونَ المحارِمِ

وقال بشار :

أُنسٌ غَرَائرُ ما هممْنَ بِرِيبَةٍ كظِبَاءِ مكّةَ صيدُهنَّ حَرَامُ

يُحسَبنَ مِنْ أنس الحديثِ زَوَانياً ويَصُدُّهنَّ عنِ الخَنا الاسلامُ

وقال بشار :

فَنَعِمْنا والعَيْنُ حَيَّ كَمِيْتٍ بحديثٍ كَنشوَةِ الخندَرِيسِ(١)

وقال بشار :

(١) العين : الرقيب

وكأنَّ رَفْضَ حَدِيثِها قِطَعُ الرِّياضِ كُسِينَ زهْرَا (١)
وتَخالُ مَا جمعَتْ عَلَيْهِ ثِيابَها ذَهَباً وَعِطْرَا
وكأنَّ تحتَ لِسَانِها هَارُوتَ يَنْفِثُ فيهِ سِحْرَا

وقال بشار العقيلي :

وفَتاةٍ صَبَّ الجَمالُ عَلَيْهَا بِحَدِيثٍ كَلَذَّةِ النَّشْوَانِ

وقال بشار :

وَبِكْرٍ كَنَوَّارِ الرِّياضِ حَدِيثُهَا تَروقُ بِوَجْهٍ وَاضِحٍ وَقَوَامِ

وقال بشار :

وحَدِيثٍ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ضِ وَفِيهِ الصَّفْرَاءُ والحَمْرَاء

وقال الاخطل :

فأَسْرَيْنَ خَمساً ثُمَّ أَصْبَحْنَ غُدْوَةً يُخْبِرْنَ أَخْبَاراً أَلَذَّ مِنَ الخَمرِ

أخبرنا عامر بن صالح أن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كتب الى امرأته وعنده اخوان له :

إِنَّ عِنْدِي أَبْقَاكِ رَبُّكِ ضَيْفاً وَاجِباً حَقُّهُمْ كُهُولاً وَمُرْدَا
طَرَقُوا جَارَكِ الذِي كَانَ قِدْماً لاَ يَرَى مِنْ كَرَامَةِ الضَّيْفِ بُدَّا
فَلَدَيْهِ أَضْيَافُهُ قَدْ قَرَاهُمْ وهُمُ يَشْتَهُونَ تَمْراً وَزُبْدَا
فَلِهَذَا جَرَى الْحَدِيثُ ولَكِنْ قَدْ جَعَلْنَا بَعْضَ المَزَاحَةِ جِدَّا

(١) وكأن « رفض » حديثها : الرفض القليل . والرواية المتداولة « رجع » ولعل هذه رواية أخرى. ولست أرى داعياً يدعو شاعراً كبشار الى أن يغير ألفاظاً من شعره وهو المشهور بانتقاء الكلمات . غير أنني أرى أن التغيير من الجاحظ نفسه وقد خبرته فوجدته قليل التحرى للرواية، أو قليل العناية برواية الشعر على وجهه وهذا شأن الكثير من بلغاء الكتاب ، ولاسيما من غزرت مادته منهم

وأنشد الهذلى :

كُرُّوا الأحاديثَ عَنْ لَيْلَى إذَا بَعُدَتْ ... إنَّ الأحاديثَ عَنْ لَيلَى لَتُلْهِينى

وقال الهذلى في حلاوة الحديث :

وإنَّ حَدِيثاً مِنْكِ لَوْ تَبْذُلِينَهُ ... جَنَى النَّحْلِ أوْ أَلْبَانُ عُوذٍ مَطَافِلِ

مَطَافِيلُ أبكارٌ حَدِيثُ نِتَاجُها ... تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ المَفَاصِل

العوذ : جمع عائذ وهى الناقة إذا وضعت . فاذامشى ولدها فهى مرشح . فاذاتبعها فهى متليـة لانه يتلوها . وهى فى هـذا كله مُطفل . فان كان أول ولد لهـا ولدته فهى بكر

ماءالمفاصل فيـه قولان : أحدهمـا أن المفاصل مابين الجبلين واحد مفصل ، وانمـا أراد صفاء المـاء لانه ينحدر عن الجبال ولايمر بطين ولاتراب . ويقال انها مفاصل البعير وذكروا أن فيها ماء له صفاء وعذوبة

وفى الكلام الموزون يقول عبد الله بن مُعاية بن عبد الله بن جعفر :

فالْزَمِ الصَّمْتَ إنِ فِى الصَّمْتِ حُكْماً ... وإذَا أنْتَ قُلْتَ قَوْلاً فَزِنْهُ

وقال أبو ذؤيب :

وسِرْبٍ يُطَلِّى بالْعَبِير كَأنَّهُ ... دِماءُ ظِباءٍ بِالنُّحُورِ ذَبِيحِ

بَذَلْتَ لَهُنَّ القَوْلَ إنَّكَ وَاجِدٌ ... لَمَاشِئْتَ مِنْ حُلْوِ الكَلَامِ فَصِيح

السرب : الجماعة من النساء والبقر والطير والظباء ، بكسر السين ، ويقال : فلان آمن السرب بفتح السين ، وخلى السرب ، وواسع السرب ، أى المسالك والمذاهب ، وانمـا هومثل مضروب للصدر والقلب ، وعن الاصمعى فلان واسع السرب ، مكسور ، أى واسع الصدر ، بطىء التأنيب

وأنشد للحكم بن ريحان من بنى عمرو بن كلاب :

يا أجْدَلَ النَّاسِ إنْ جَادَلْتَهُ جَدِلاً ... وأكْثَرَ النَّاسِ إن عَاتَبْتَهُ عِلِلاَ

كأنَّما عَسَلٌ رُجْعَانُ مَنْطِقِهَا ... إنْ كَانَ رَجْعُ الكَلَامِ يُشْبِهُ العَسَلا

وقال القَطَامِيُّ (١) :

وفى الخُدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا ... حتَّى تَصَيَّدْنَا من كلِّ مُصْطَادِ

فَهُنَّ يَنبِذْنَ مِن قولٍ يُصِبْنَ بِهِ ... مَوَاقِعَ المَاءِ مِنْ ذِى الغُلَّةِ الصَّادِى

ينبذن : يلقين . الغلة والغليل : العطش الشديد . والصادى : العطشان أيضا ، والاسم الصدى

وقال الاخطل :

شُمْسٌ إِذَا خَطِلَ الحَدِيثُ أَوَانِسٌ ... يَرْقُبْنَ كلَّ مُرَقِّبٍ تِنبالُ

أُنُفٌ كأنَّ حَدِيثَهُنَّ تَنادُمٌ ... بالكأسِ كلُّ عقيلةٍ مِكسالُ

التنبال : القصير ، والمجذر مثله . والشُّمس : النوافر . الأُنف جمع الانفة وهى المنكرة للشىء غير راضية عنه . العقيلة : المصونة فى أهلها ، وعقيلة كل شىء خيرته . والمكسال : ذات الكسل عن الحركة .

وقال أبو العَمَيْثَلِ :

لَقِيتُ ابْنَةَ السَّهْمِىِّ زَيْنَبَ مِنْ غُفْرٍ ... ونَحْنُ حَرَامٌ مُسْىَ عاشِرَةِ العَشْرِ

وَإِنِّى وإِيَّاها لَحَتْمٌ مَبِيتُنا ... جَمِيعاً وَمَسْرَانَا مُغِذٍ وذو فَتْرِ

فَكَلَّمْتُهَا ثِنْتَيْنِ كالثَّلْجِ مِنْهُمَا ... عَلَى اللَّوْحِ وَالأُخْرَى أَحَرُّ مِنَ الجَمْرِ

تقول : ما يلقانا فلان الا عن غُفر ، أى بعد مدة . مسى : أى وقت المساء . ويقال : أغذ السير ، اذا جد فيه وأسرع . واللوح : بالفتح ، العطش . يقال : لاح الرجل يلوح لوحا ، والتاح يلتاح التياحا ، إذا عطش ، واللوح : أيضاً الذى يكتب فيه ، واللوح : بالضم الهواء . يقال : لا أفعل ذلك لو نزوت فى اللوح أو حتى تنزو فى اللوح . وأنشد :

---

(١) القطامى : هو عمير بن شييم شاعر اسلامى فحل مقل مجيد . لقب القطامى لقوله :

يصكهن جانباً فجانباً ... صك القطامى القطا القواربا

وقد يلقب (صريع الغوانى) لقوله :

صريع غوان راقهن ورقنه ... لدن شاب حتى شاب سود الذوائب

كان نصرانياً وقيل إنه أسلم . توفي سنة ١٠١ هـ ٧١٩ م

وإنا لنُجْرِي بَيْنَنَا حينَ نَلْتَقِي حَدِيثاً لهُ وَشْيٌ كَوَشْيِ المَطَارِفِ
حديثٌ كطَعْمِ القَطْرِ في المَحْلِ يُشْتَفَى بِهِ مِنْ جَوَى في دَاخِلِ القلبِ لاطِفِ

وقال الشَّمّاخ بنُ ضِرَار النَّغْلِبيُّ :

يَقِرُّ بِعَيْنِي أنْ أُنَبَّأَ أنَّها وإنْ لَمْ أنَلْها أيِّمٌ لَمْ تَزَوَّجِ
وكُنتُ إذَا لاَقَيْتُهَا كانَ سِرُّنَا وما بَيْنَنا مِثْلَ الشِّوَاءِ المُلَهْوَجِ

يريد أنهما من خوف الرقباء كانا على عجلة . والملهوج : المعجل الذى لم ينتظر به النضج .

وقال جران العود :

فَنِلْنَا سِقَاطاً مِنْ حَدِيثٍ كأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ أوْ أبكارُ كَرْمٍ يُقَطَّفُ
حَدِيثاً لوْ انَّ البَقْلَ يولَى بِمِثْلِهِ زَهَا البَقْلُ وَاخْضَرَّ العِضَاهُ المُصَيَّفُ

وقال الكميت :

وحَدِيثُهُنَّ اذَا التَّقَيْنَ تَهَانُفُ البِيضِ الغَرَائِرْ
فإذَا ضَحِكْنَ عَنِ العِذَابِ لنا المُسِفَّاتِ الثَّوَاغِرْ (٢)
كَانَ التَّهَلُّلُ بالتَّبَسُّمِ لاَ الفَهَاهَةُ بالقَرَاقِرْ (٣)

وقال الآخر :

ولما تَلاَقَيْنَا جَرَى مِن عُيونِنا دُمُوعٌ كَسَفْنَا غَرْبَهَا بِالأَصَابِعِ
ونِلْنَا سِقَاطاً مِن حَدِيثٍ كأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجاً بِمَاءِ الوَقَائِعِ (٤)

وقال الاشعث بن سمى :

---

(١) التهانف : التضاحك بدل (٢) عن العذاب : عن الثنايا العذاب ، المسفات الثواغر : الذوات الثغور اللطاف . (٣) القراقر : الضحك المسموع (٤) الوقائع هنا بمعنى المنابع العذبة .

هَلْ تَعْرِفُ المَبْدَا إِلَى السَّنَام نَاطَ بِهِ سَوَاحِرُ الكَلام
كَلامَهُنَّ بُرْءُ ذِي السَّقَام

وقال الراجز، ووصف عيون الظباء بالسحر، وذكر قوساً صفراء فقال :

صَفرَاءُ فَرْعٌ خَطَمُوهَا بِوَتَرْ لأْمٍ مُمَرٍّ مِثلِ حُلْقُومِ النَّغَرْ (١)
حَدَّتْ ظُبَاتِ أَسْهُمٍ مِثلِ الشَّرَرْ فَصَرَعَتْهُنَّ بِأَكْنَافِ الحَفَرْ
حُورُ العُيُونِ بَابِلِيَّاتِ النَّظَرْ يَحْسَبُهَا النَّاظِرُ مِن وَحْشِ البَشَرْ

ويروى « البقر »

﴿ باب آخر من الاسجاع فى الكلام ﴾

قال عمر بن ذر : الله المستعان على ألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخلف.

ولما مدح عُتَيبةُ بنُ مرداس عبدَ الله بنَ عباس قال : لأعطى مَن يَعصى الرحمن، ويطيع الشيطان، ويقول البهتان .

وفى الحديث المأثور « يقول العبد : مالى مالى، وانما لك من مالك ما أكلت فافنيت، أو أعطيتَ فأمضيت، أو لبست فأبليت »

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ :

أَعَاذِلُ إِن يصبح صَدَاى بِقفرَةٍ بَعِيداً فَآتِى صَاحِبِى وَقَرِيبِى
تَرَىْ أَنَّ ما أبقيتُ لَم أَكُ رِبَّهُ وَأَنَّ الذِى أَنفقتُ كَان نَصِيبِي

الصدى : طائر يخرج من قبر الميت فينعى اليه ضعف وليه وعجزه، وهذا كانت العرب تقوله فى الجاهلية، وهو هاهنا مستعار، أى إن أصبحت أنا

ووصف أعرابى رجلا فقال : صغير القدر، قصيرُ الشِّبر، ضيق الصدر، لئيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر .

---

(١) صفراء فرع : قوس غير مشقوقه . خطموها : ربطوها لام ممر : يعنى أن الوتر قوى الفتل وهو شبيه بحلقوم النغر الذى هو البلبل

الشبر : القامة . والنجر : الطباع .

ووصف بعض الخطباء رجلا فقال : ما رأيت أضرب لمثل ، ولا أركب لجمل ، ولا أصعد فى قُلَل منه . وسأل بعض الامراء رسولا قدم من جهة السند : كيف رأيتم البلاد ؟ فقال : ماؤها وشل ، ولصها بطل ، وتمرها دقل . إن كثر الجند بها جاعوا ، وإن قلوا بها ضاعوا

وقيل لصعصعة بن معاوية : من أين أقبلت ؟ قال : من الفج العميق . قيل : فأين تريد ؟ قال : البيت العتيق . قيل : هل من مطر ؟ قال : نعم حتى عفا الاثر ، وانضر الشجر ، ودهده الحجر . واستجار عون بنُ عبد الله بن عتبة بن مسعود بمحمد بن مروان بنصيبين وتزوج بها امرأةً فقال محمد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : كثيرة العقارب . قليلة الاقارب .

يريد بقوله : قليلة . كقول القائل : فلان قليل الحياء . ليس يريد أن هنا لك حياء وان قل . يضعون قليلا فى موضع ليس

وولى علاء الكلابى عملا خسيسا بعد أن كان على عمل جسيم : فقال : العنوق بعد النوق ؟ قال ونظر رجل من العباد الى باب بعض الملوك فقال : باب جديد ، وموت عتيد ، ونزع شديد ، وسفر بعيد . وقيل لبعض العرب : أى شيء تمنى وأى شيء أحب اليك ؟ قال : لواء منشور ، والجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الامير . وقيل لآخر ، وصلى ركعتين وأطال فيهما وقد كان أمر بقتله : أجزعت من الموت ؟ فقال : ان أجزع فقد أرى كفنا منشوراً ، وسيفا مشهوراً ، وقبراً محفوراً . وقال عبد الملك بن مروان لاعرابى : ما أطيب الطعام قال بكرة سنمة ، معتبطة غير ضمنه ، فى قدور رذمه ، بشفار خذمه ، فى غداة شبمه . (١) فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطبت

والشبم : البرد

وقالوا لا تغتر بمناصحة الامير اذا غشك الوزير . وقالوا : من صادق الكتاب أغنوه ، ومن عاداهم أفقروه . وقالوا : اجعل قول الكذاب ريحا تكن مستريحا

---

(١) بكرة سنمة : ناقة فتية ذات سنام عظيم ، معتبطة غير ضمنة : نحرت لغير علة ولا زمانة ولا ضعف . القدور الرذمة : أى الممتلئة . بشفار خذمه : بسكاكين حادة قاطعة . فى غداة شبمة : فى صبيحة باردة لينة

وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي : لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى وإقامة الوزن ؟ قال : إن كلامى لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافى عليك ،ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد و بقلة التفلت ،وما تكلمت به العرب من جيد المنثور اكثر مما تكلمت به من جيد الموزون : فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره .

قالوا : فقد قيل للذى قال : يارسول الله ، أرأيت من لاشرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس مثل ذلك بطل ؟ فقال رسول الله ﷺ « أسجعٌ كسجع الجاهلية؟ »

قال عَبْدُ الصَّمَد : لو أن هذا المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه باس ، ولكنه عسى أن يكون أراد إبطالا لحق فتشادق في كلامه .

وقال غير عبد الصمد : وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله ﷺ واستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامة أصحاب رسول الله ﷺ قد قالوا شعراً قليلا كان ذلك أم كثيراً، وسمعوا واستنشدوا،فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز، فكيف يحل ماهو اكثر ويحرم ماهو أقل ؟ وقال غيرهما : إذا لم يطل ذلك،ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلبة،أو ملتمسة متكلفة ، وكان ذلك كقول الاعرابى لعامل الماء : حلبت ركابى ، وحرقت ثيابى ، وضربت صحابى ، ومنعت إبلى من الماء والكلاء؟ والركاب مايركب من الابل .

قال : أو سجع أيضاً ، فقال الاعرابى : فكيف أقول ؟

لانه لو قال : حلبت إبلى أو جمالى أو نوقى أو بعرانى أو صرمتى لكان لم يعبر عن حق معناه ، وانما حلبت ركابه ، فكيف يدع الركاب الى غير الركاب . وكذا قوله : حرقت ثيابى ، وضربت صحابى . لان الكلام اذا قل وقع وقوعاً لايجوز تغييره ، واذا طال وجدت في القوافى مايكون مجتلباً ومطلوباً مستكرهاً .

وفى الحديث المأثور ـ ويدخل على من طعن فى قوله تعالى « تَبت يدا أبي لهب » . وزعم أنه شعر ، لأنه فى تقدير مستفعلن مفاعلن ـ وطعن فى قوله عليه السلام « هل أنت إلا أصبع دميت ، وفى سبيل الله ما لقيت »

فيقال له : اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم،لوجدت فيها مثل مستفعلن فاعلن كثيراً ، وليس أحد فى الارض يجعل ذلك المقدار شعرا . ولو أن

رجلا من الباعة صاح : من يشترى باذنجان . لقد كان تكلم بكلام فى وزن مستفعلن مفعولان ، فكيف يكون هذا شعراً وصاحبهُ لم يقصد الى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الكلام. واذا جاء المقدار الذى يعلم انه من نتاج الشعر والمعرفة بالاوزان والقصد اليها كان ذلك شعراً . وهذا قريب، والجواب فيه سهل بحمد الله . وسمعت غلاماً لصديق لى وكان قد سقى بطنه يقول لغلمان مولاه : اذهبوا بى الى الطبيب وقولوا قد اكتوى . وهذا الكلام يخرج وزنه : فاعلاتن مفاعلن، مرتين. وقد علمت أن هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول بيت شعر أبدا . ومثل هذا كثير لو تتبعته فى كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته

وكان الذى كرّه الاسجاع بعينها، وان كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة ، أن كهان العرب الذين كان اكثر أهل الجاهلية يتحاكمون اليهم وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رئيا من الجن مثل « حَازِى جهينةَ » ومثل « شق » و « سطيح » و « عزى سلمة » وأشباههم كانوا يتكهنون و يحكمون بالاسجاع كقوله : والارض والسماء ، والعقاب والصقعاء ، واقعة ببقعاء ، لقد نفر المجد بنى العشراء ، للمجد والسناء . وهذا الباب كثير . ألا ترى أن « ضَمْرَةَ بنَ ضَمْرَةَ » و « هَرِم بن قُطبة » و « الاقرع بن حابس » و « نُفيل بن عبد العزى » كانوا يحكمون وينفرون بالاسجاع ؟ وكذلك « ربيعة بن حذار » فوقع النهى فى ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفى صدور كثير منهم . فلما زالت العلة زال التحريم

وقد كان الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون فى تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينهو منهم أحدا .

وكان الفضل بن عيسى الرقاشى سجاعاً فى قصصه ، وكان عمرو بن عبيد، وهشام ابن حسان ، وأبان بن أبى عياش يأتون مجلسه . قال له داود بن أبى هند : لولا انك تفسر القرآن برأيك لأتيناك في مجلسك. قال : فهل ترانى أحرم حلالا وأحل حراما ؟ وانما كان يتلو الآية التى فيها ذكر النار والجنة والحشر والموت وأشباه ذلك .

وقد كان عبدُ الصمد الفضل ، وأبو العباس القاسم بن يحيى ، وعامة قصاص البصرة ، وهم أخطب من الخطباء يجلس اليهم عامة الفقهاء . وقد كان النهى ظاهراً عن مرثية أمية بن أبى الصلت لقتلى أهل بدر كقوله :

هَلاَّ بَكَيتَ على الكِرَام بَنِى الكِرَامِ أولى المَمَادِحْ

وروى ناس شبيباً بذلك فى هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة . فلما زالت العلة زال النهى

وقال أبو وائلة بن خليفة فى عبد الملك بن المهلب :

لَقَدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أَعْوَادُ مِنْبَرٍ ... تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ

بَكَى الْمِنْبَرُ الْغَرْبِيُّ إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ ... فَكَادَتْ مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ تَذُوبُ

رَأَيْتُكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي ... يُصِيبُ سَرَاةَ الأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ

سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ ... وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ الْمَزُونَ عُيُوبُ

وخطب الوليد بن عبد الملك فقال : إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن الحجاج جلدة مابين عينى ، ألا وإنه جلدة وجهى كله . وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن أبى مسلم فقال : انما مثلى ومثل يزيد بن أبى مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهم فأصاب دينارا .

شبيب بن شيبة قال: حدثنى خالد بن صفوان قال : خطبنا يزيد بن المهلب بواسط فقال : إنى قد أسمع قول الرعاع : قد جاء مسلمة ، وقد جاء العباس ، وقد جاء أهل الشام . وما أهل الشام إلا تسعة أسياف: سبعة منها معى واثنان علىّ . وأما مسلمة فجرادة صفراء . وأما العباس فنسطوس بن نسطوس ، أتاكم فى برابرة وصقالبة وجرامقة وجراجمة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس . انما أقبل اليكم الفلاحون والاوباش كأشلاء اللحم . والله مالقوا أقواماً قط كحدّكم وحديدكم ، وعدكم وعديدكم. أعيرونى سواعدكم ساعة من نهار تصفقون بها خراطيمهم . فانما هى غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا و بين القوم الفاسقين

ومدح بشار هزارَ مُرْدَ العتكى بالخطب وركوبه المنابر ، بل رثاهُ وابنه فقال:

مَا بَالُ عَيْنِكَ دَمْعُهَا مَسْكُوبُ ... سَهِرَتْ فَأَنْتَ بِنَوْمِهَا مَحْرُوبُ

وَكَذَاكَ مَنْ صَحِبَ الْحَوَادِثَ لَمْ يَزَلْ ... تَأْتِي عَلَيْهِ سَلَامَةٌ وَنُكُوبُ

يَا أَرْضُ وَيْحَكِ أَكْرِمِيهِ فَإِنَّهُ ... لَمْ يَبْقَ لِلْمُتَكِئِّ فِيكِ ضَرِيبُ

أَبْهَى عَلَى خَشَبِ الْمَنَابِرِ قَائِماً ... يَوْماً وَأَحْزَمُ إِذْ تُشَبُّ حُرُوبُ

﴿ خطباء البصرة ﴾

كان سَوَّارُ بنُ عبد الله أول تميمى خطب على منبر البصرة . ثم خطب عبيد الله بن الحسن . وولى منبر البصرة أربعة من القضاة، فكانوا قضاة أمراء : بلال ، وسوار ، وعبيد الله ، وأحمد بن رباح . وكان بلال قاضيا بن قاض بن قاض وقال روبة :

فأنْتَ يا ابْنَ الْقاضِيَيْنِ قَاض مُعْتَزَم على الطَّرِيقِ ماض

قال أبو الحسن المدائنى : كان عبيد الله بن الحسن حيث وفد على المهدى معزبا أعد له كلاما . فبلغه أن الناس أعجبهم كلامه . فقال لشبيب بن شيبة : انى والله ما ألتفت الى هؤلاء . ولكن سل لى عنها أبا عبيد الله الكاتب . فسأله فقال : ما أحسن ما تكلم به ! على أنه اخذ مواعظ الحسن ورسائل غيلان فلقح بينهما كلاما. فأخبره بذلك شبيب ، فقال عبيد الله : لا والله أن أخطأ حرفا واحداً

وكان محمد بن سليمان له خطبة لا يغيرها ، وكان يقول : ان الله وملائكتُه. فكان يرفع الملائكة ، فقيل له فى ذلك فقال : خرجوا لها وجها، ولم يكن يدع الرفع

قال: وصلى بنا خزيمة يوم النحر فخطب فلم يسمع من كلامه إلا ذكر أمير المؤمنين الرشيد وولى عهده محمد. قال: وكان زهير بن محمد الضبى يداريه اذا قرع المنبر

وقال الشاعر :

أمِيرَ المُؤمِنِينَ إلَيْكَ نَشكُو وإنْ كُنَّا نَقُومُ بِغيرِ عُذْرِ
غَفَرْتَ ذُنُوبَنا وعَفَوْتَ عَنَّا ولَيْسَتْ مِنْكَ أنْ تَعْفُو بِكِرْ
فانَّ المِنْبَرَ البَصْرِىَّ يَشكُو على الْعِلاَّتِ اسْحُقَ بنَ شِمْرْ
أضَبِّىٌّ على خَشَبَاتِ مُلْكٍ كَمَرْكَبِ ثَعْلَبٍ ظَهْرَ الْهِزَبْرِ؟

وقال بعض شعراء العسكر يهجو رجلا من أهل العسكر :

مازِلْتَ تَرْكَبُ كلَّ شَىءٍ قائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ على رُكوبِ المِنْبَرِ
مَا زَالَ مِنْبَرُكَ الذِى دَنَّسْتَهُ بالأمْسِ مِنْكَ كَحَائِضٍ لَمْ تَطْهُرِ

وقال آخر :

فما مِنْبَرٌ دَنَّسْتَهُ باسْتِ أفْكَلٍ بِزَاكٍ ولَوْ طَهَّرْتَهُ بابْنِ طَاهِرِ

﴿ باب أسجاع ﴾

عبد الله بن المبارك عن بعض أشياخه عن الشعبي قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام « البر ثلاثة : المنطق ، والمنظر ، والصمت . فمن كان منطقه في غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته فى غير فكر فقدلها » وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج . وقال : يزيد بن المهاب وهو فى الحبس : والهفاه على طلبة بمائة ألف وفرج فى جبهة الاسد . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : استغزروا الدموع بالتذكر.

وقال الشاعر : وَلا يَبْعَثُ الأَحزانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ

حفص قال :سمعت عيسى بن عمر يقول: سمعنا الحسن يقول : إقدعوا هذه النفوس فانها طُلعة ، واعصوها فانكم إن أطعتموها تنزع بكم الى شر غاية ، وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور .

اقدعوا : كفوا . طُلعة:أى تطلع إلى كل شىء. حادثوا :أى اجلوا واشحذوا. والدثور : الدروس ، يقال : دثر أثر فلان ، أى ذهب .كما يقال : درس وعفا

قال : فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء فتعجب من كلامه

وقال الشاعر :

سَمِعْنا بِهَيجا أَوْجَفَتْ فَذَكَرْتُهُ وَلا يَبْعَثُ الأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ

الوجيف : السير الشديد ، يقال:وجف الفرس والبعير وأوجفته ،ومثله الايضاع وهو الاسراع . أراد بهيجاء أقبلت مسرعة

ومن الاسجاع قول أيوب بن القِرّيةِ ، وقد كان دعى لكلام فاحتبس القول عليه فقال : قد طال السمر ، وسقط القمر ، واشتد المطر ، فماذا ينتظر ؟ فاجابه فتى من عبد القيس فقال : قد طال الارق ، وسقط الشفق ، وكثر اللثق ، فلينطق من نطق .

اللثق:الندى الوحل

وقال أعرابى لرجل : نحن والله آكل منكم للمأدوم ، وأكسب منكم للمعدوم، وأعطى منكم للمحروم . ووصف أعرابى رجلا فقال : إن رفدك لنحيح ، وإن خيرك لسريح ، وإن منعك لمريح سريح .

عجل مريح: أى مريح من كدّ الطلب

وقال عبد الملك لاعرابى : ما أطيب الطعام ؟ فقال : بكرة سنمة ، فى قدور رذمة ، بشفار خذمة ، فى غداة شبمة . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطبت

وسئل أعرابى فقيل له : ما أشد البرد ؟ فقال : ريح جربياء ، فى طل عماء ، فى غب سماء .

ودعا أعرابى فقال : اللهم إنى أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الاتاء ، وحط الاعداء ، ورفع الاولياء .

الاتاء : الرزق

وقال ابرهيم النخعى لمنصور بن المعتمر : سل مسألة الحمقى ، واحفظ حفظ الكيسى . ووصفت عمة حاجز اللص حاجزاً ففضلته وقالت : كان حاجز لا يشبع ليلة يضاف . ولا ينام ليلة يخاف .

ووصف بعضهم فرساً فقال : أقبل بزبرة الاسد ، وأدبر بعجز الذئب .

الزبرة: مغرز العنق. ويقال الشعر الذى بين كتفيه . ووصفه بأنه محطوط الكفل

ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة قام رجل يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال : هذا أمير المؤمنين ـ وأشار بيده إلى معاوية ـ فان مات فهذا ـ وأشار بيده إلى يزيد ـ فمن أبى فهذا ـ وأشار بيده إلى سيفه . فقال معاوية : أنت سيد الخطباء .

ولما قامت خطباء نزار عند معاوية فذهبت فى الخطب كل مذهب قام صبرة ابن شيمان فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا حى فعال ، ولسنا حى مقال ، ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا .

ولما وفد الأحنف فى وجوه أهل البصرة الى عبد الله بن الزبير تكلم أبوحاضر الأسيدى ـ وكان خطيباً جميلا ـ فقال له عبد الله بن الزبير : أسكت ، فوالله لوددت أن لى بكل عشرة من أهل العراق رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم . قال : يا أمير المؤمنين ، إن لنا ولك مثلا ، أفتأذن فى ذكره ؟ قال : نعم . قال : مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الاعشى حيث يقول :

عَلَّقْتُهَا عَرَضاً وَعَلَّقَتْ رَجُلاً غَيرِى وَعَلَّقَ أُخْرَى غَيرَهَا الرَّجل

أحبك أهل العراق ، وأحببتَ أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبدَ الملك ابنَ مروان .

على بن مجاهد عن حميد بن أبي البختري قال : ذكر معاوية لابن الزبير بيعةَ يزيد فقال ابن الزبير : إني أناديك ولا أناجيك ، إن أخاك من صدقك، فانظر قبل أن تُقدم ، وتفكر قبل أن تندم ، فان النظر قبل التقدم ، والتفكر قبل التندم . فضحك معاوية ثم قال : تعلمت أبا بكر السجاعة عند الكبر ؟ إن في دون ما سجعت به على أخيك ما يكفيك . ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير

أخبرنا ثُمامَةُ بنُ أَشْرَس قال : لما صرفت اليمانية ـ من أهل مزة ـ الماء عن أهل دمشق ووجهوه إلى الصحارى كتب اليهم أبو الهيذام : الى بنى استها أهل مزة ، ليسيبنى الماء أو لتصبحنكم الخيل . قال : فوافاهم الماء قبل أن يعتموا .

أى يصيرون فى وقت عتمة الليل ، وعتمته ظلامه . يقال عتم الليل يعتم ، اذا أظلم . وأعتم الناس صاروا فى وقت العتمة .

فقال أبو الهيذام : الصدق ينبى عنك لا الوعيد .

وحدثنى ثمامة عمن قدم عليه من أهل الشام قال : لما بايع الناس يزيدَ ابن الوليد ، وأتاه الخبر عن مروان بن محمد ببعض التلكؤ والتحبس كتب اليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد الى مروان ابن محمد . أما بعد ، فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى . فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام .

وهاهنا مذاهب تدل على أصالة الرأى ، ومذاهب تدل على تمام النفس ، وعلى الصلاح والكمال ، لا أرى كثيراً من الناس يقفون عليها

واستعمل عبد الملك بن مروان نافعَ بنَ علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان على مكة فخطب ذات يوم ـ وأبان بن عثمان بحذاء المنبر ـ فشتم طلحة والزبير . فلما نزل قال لأبان : أرضيتك من المدهنين فى أمير المؤمنين ؟ قال : لا والله ، ولكن سؤتنى . حسبى أن يكونا شركاء فى أمره .

فما أدرى أيهما أحسن : كلام أبان بن عثمان هذا أم إسحق بن عيسى ؟ فانه قال : أعيذ علياً بالله أن يكون قتل عثمان . وأعيذ عثمان بالله أن يقتله على . فمدح علياً بكلام سديد غير نافر ، ومقبول غير وحشي . وذهب الى معنى الحديث فى قول رسول الله ﷺ « أشد أهل النار عذاباً من قتل نبياً أو قتله نبي . »

يقول : لا يتفق أن يقتله نبي بنفسه إلا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرأهم على معصيته . فيقول : لا يجوز أن يقتله علىّ إلا وهو مستحق للقتل

﴿ خطبة من خطب النبي ﷺ ﴾

خطب النبي ﷺ بعشر كلمات . حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أيها الناس ، إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم . وان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم . إن المؤمن بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به ، و بين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دنياه لآخرته . ومن الشبيبة قبل الكِبَرَة . ومن الحياة قبل الموت . فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مُستعتَب . ولا بعد الدنيا من دار ، إلا الجنة أو النار »

أبو الحسن المدائنى قال : تكلم عمار بن ياسر يوماً فأوجز فقيل له : لو زدتنا ؟ قال : أمرنا رسول الله ﷺ باطالة الصلاة وقصر الخطبة

محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الانصار من بنى زريق أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِم فسلحه إياه ثم قال : ياجبير ، ممن كان النعمان ؟ قال : من أشلاء قنص بن معد . وكان جبير أنسب العرب . وكان أخذ النسب عن أبى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه . وعن جبير أخذ سعيدُ بنُ المسيب . وروى عن بعض ولد طلحة قال : قلت لسعيد ابن المسيب : علمنى النسب . قال : أنت رجل تريد أن تسابّ الناس . وثلاثة فى نسق واحد كانوا أصحاب نسب : عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . أخذ ذلك عن الخطاب . وكان كثيراً ما يقول : سمعت ذلك عن الخطاب ، ولم أسمع ذلك من الخطاب . والخطاب بنُ نُفَيْلٍ . ونُفَيْلُ عبد العُزَّى تنافر اليه عبد المطلب وحرب ابن أمية فنفرَ عبدَ المطلب . أى حكم لعبد المطلب . والمنافرة المحاكمة

والنساب أربعة : دغفل بن حنظلة ، وعمير أبو ضمضام ، وصبيح الحنفى ، وابن الكيس النمرى .

قال الاصمعى : دغفل بن حنظلة ، النسابة البكرى ، وكان نصرانياً ولم يسمه خطب سليمان بن عبد الملك فقال :

إتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكما ، واجعلوه قائداً ، فانه ناسخ لما قبله ، ولم ينسخه كتاب بعده . وأول كلام بارع سمعوه منه : الكلام فيما يعنيك خير من السكوت عما يضرك ، والسكوت عما لا يعنيك خير من الكلام فيما يضرك .

خلاد بن يزيد الارقط قال : سمعت من يخبرنا عن الشعبي قال : ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا تمنيت أن يسكت خوفاً من أن يسيء ، إلا زياداً فانه كلما كان أكثر كان أجود كلاما

وكان نَوْفَلُ بنُ مُسَاحِقٍ إذا دخل على امرأته صمت ، وإذا خرج من عندها تكلم ، فرأته يوماً كذلك فقالت : أما عندى فتطرق ، وأما عند الناس فتنطق . قال : لأنى أدق عن جليلك ، وتجلين عن دقيقى

قال أبو الحسن : قادعَيَّاشُ بنُ الزِّبْرِقَانِ بنِ بَدْرٍ الى عبدالملك بن مَرْوَانَ خمسة وعشرين فرساً . فلماجلس لينظر إليها نسب كل فرس منها إلى جميع آبائه وأمهاته، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التى حلف بها على الفرس الآخر . فقال عبد الملك بن مروان : عجبي من اختلاف أيمانه أشدمن عجبي من معرفته بأنساب الخيل

وقال كان للزِّبْرِقَانِ بنِ بَدْرٍ ثلاثة أسماء: القمر ، والزبرقان ، والحصين. وكانت له ثلاث كنى : أبو شذرة ، وأبو عياش ، وأبو عباس . وكان عياش ابنه خطيباً مارداً، شديدالعارضة، شديد الشكيمة، وجيهاً ، وله يقول جرير :

أعيَّاشُ قدْ ذَاقَ القُيُونُ مَرَارَتِى وَأَوْقَدْتُ ناراً فادْنُ دُونَكَ فَاصْطَلِ

فقال عياش : إنى إذاً لمقرور ؟ قالوا: فغلب عليه

﴿ باب أسماء الخطباء والبلغاء والابيناء ، وذكر قبائلهم وأنسابهم ﴾

كان التدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماء أهل الاسلام على منازلهم ، ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ، ونقسم أمورهم باباً باباً على حدته ، ونقدم من قدمه الله عز وجل ورسوله ﷺ فى النسب، وفضله فى الحسب . ولكنى لما عجزت عن نظمه وتنضيده تكلفت ذكرهم فى الجملة، والله المستعان وبه التوفيق، ولا حول ولاقوة الا به

كان الْفَضْلُ بنُ عِيسَى الرَّقَاشِيُّ من أخطب الناس ، وكان متكلما ، وكان قاصًّا مجيداً . وكان يجلس اليه عمرو بن عبيد، وهشام بن حسان، وأبان بن أبى عياش، وكثير من الفقهاء . وهو رئيس الفضيلية واليه ينسبون . وخطب إليه ابنته سوادة بنت الفضل سليمان بن طرخان التيمى فولدت له المعتمر بن سليمان . وكان سليمان مباينا للفضل فى المقالة ، فلما ماتت سوادة شهد الجنازة المعتمر وأبوه فقدما الفضل

وكان الفضل لايركب إلا الحمير ، فقال له عيسى بن حاضر : انك لتؤثر الحمير على جميع المركوب فلم ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قال : مثل أى شىء ؟ قال : لاتستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان، ثم هي أقلها داء وأيسرها دواء،

وأسلم صريعا ، وأكثر تصريفاً، وأسهل مرتقى ، وأخفض مهوى ، وأقل جماحا ، وأشهر فارهاً ، وأقل نظيراً ، يزهى راكبه وقدتواضع بركوبه ، ويكون مقتصداً وقد أسرف فى ثمنه . قال: ونظر يوماً الى حمار فاره تحت سالم بن قتيبة فقال : قعدة نبي، وبذلة جبار . قال عيسى بن حاضر: ذهب الى حمار عزير ، والى حمار مَسيح الدجال، والى حمار بلعم . وكان يقول :لو أراد أبو سيَّارَةَ عُمَيْلَةُ بنُ أعْزَلَة أن يدفع بالموسم على فرس عربى ،أو جمل مَهرى لفعل ، ولكنه ركب عَيراً أربعين عاماً لانه كان يتأنه. وقد ضرب به المثل فقالوا : أصح من عير(أبى) سيارة

والفضل هو الذى يقول فى قصصه : سل الارض فقل :من شق أنهارك ،وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ؟ فان لم تجبك حواراً، اجابتك اعتباراً .

وكان عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ الفَضْلِ أغزر من أبيه وأعجب،وأبين وأخطب. وحدثنى أبو جعفر الصوفى القاصّ قال : تكلم عبد الصمد فى خلق البعوضة، وفى جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة .

وكان يَزِيدُ بنُ أبَانٍ عم الْفَضْلِ بنِ عِيسَى بنِ أبَانَ الرَّقَاشِيِّ من أصحاب أنَس والحسن ، كان يتكلم فى مجلس الحسن ، وكان زاهداً عابداً، وعالماً فاضلا ، وكان قاصًّا مجيداً. قال أبو عبيدة : وكان أبوهم خطيباً ، وكذلك جدهم ، وكانوا خطباء الاكاسرة ، فلما سبوا وولد لهم الأولاد فى بلاد الاسلام وفى جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق، فقاموا فى أهل هذه اللغة كمقامهم فى أهل تلك اللغة ،وفيهم شعر وخطب، وما زالوا كذلك حتى أصهر الغرباء اليهم، ففسد ذلك العرق ودخله الحَوَر

ومن خطباء إياد « قُسُّ بنُ سَاعِدَةَ » وهو الذى قال فيه النبى ﷺ « رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: « أيها الناس اجتمعوا،فاسمعوا وعوا . من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آت آت » وهو القائل فى هذه : «آيات محكمات، مطر ونبات ، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت، ونجوم تمور ، وبحور لا تغور . وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، وليل داج ،وسماء ذات أبراج ، مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا؟ أم حبسوا فناموا ؟» وهو القائل: « يامعشر إياد ، أين ثمود وعاد ، وأين الآباء والاجداد . أين المعروف الذى لم يشكر ، والظلم الذى لم ينكر ، أقسم قسّ قسما بالله أن لله ديناً هو أرضى له من دينكم هذا . وأنشدوا له هذه:

فِي الذَّاهِبِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ

لمـا رأيتُ مَوَارِداً ... لِلْموتِ ليس لَهَا مَصَادِرْ
ورأيتُ قَوْمِي نَحْوَهَا ... تَمضِي الأكابِرُ وَالأَصَاغِرْ
لاَ يَرْجِعُ المَاضِي وَلاَ ... يَبْقَى مِنَ البَاقِينَ غَابِرْ
أيقَنْتُ أنّي لاَ مَحَالَةَ ... حَيْثُ صَارَ القَوْمُ صَائِرْ

ومن الخطباء « زيد بن على بن الحسين » وكان خالد بن عبد الله أقرَّ على زيد بن على ، وداود بن على ، وأيوب بن سلمة المخزومى ، وعلى بن محمد بن عمر بن على ، وعلى ابن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . فسأل هشامُ زيداً عن ذلك فقال : أحلف لك ؟ قال : وإذا حلفت أصدقك ؟ قال زيد : اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر مثلى بتقوى الله ؟ قال زيد : لا أحد فوق أن يوصى بتقوى الله ، ولا دون أن يوصى بتقوى الله . قال هشام : بلغنى أنك تريد الخلافة ، ولا تصلح لها لانك ابن أمة . قال زيد : فقد كان اسماعيل بن ابرهيم صلوات الله عليه ابن أمة ، واسحق عليه السلام ابن حرة ، فأخرج الله عز وجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمداً ﷺ . فعندها قال له : قم . قال : إذاً لا ترانى إلا حيث تكره . ولما خرج من الدار قال : ما أحبّ أحدٌ الحياة قط إلا ذل . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمع من هذا الكلام منك أحد .

وقال مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ : إن زيداً لما رأى الارض قد طبقت جوراً ، ورأى قلة الاعوان ، ورأى تخاذل الناس ، كانت الشهادة أحب المنيات اليه . وكان زيد كثيراً ما ينشد :

شَرَّدَهُ الخَوْفُ وَزَرَى بِهِ ... كَذَاكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلاَدْ
مُنْخَرِقُ الخُفَّيْنِ يَشْكُو الوَجَى ... تَنْكُبُهُ أطْرَافُ مَرْوٍ حِدَادْ
قَدْ كَانَ فِي المَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ ... وَالمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ العِبَادْ

قال : وكثيراً ما ينشد شعر العبسي فى ذلك :

إنَّ المُحكَّمَ مَنْ لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً ... أوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أوْ حَدَّ القَنَا جَنَفَا
مَنْ عَاذَ بالسَّيْفِ لاَقَى فُرْصَةً عَجَباً ... مَوْتاً عَلَى عَجَلٍ ، أوْ عَاشَ مُنْتَصِفَا

ولما بعث يوسف بن عمر برأس زيد ونصر بن خزيمة مع شيبة بن عقال ، وكلف آل أبي طالب أن يبرأوا من زيد ويقوم خطباؤهم بذلك ، فأول من قام عبد الله بن الحسن فأوجز فى كلامه ثم جلس . ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فاطنب فى كلامه ، وكان شاعراً بيّناً وخطيباً لسناً ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابن الطيار أخطب الناس . فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك فقال : لو شئت أن أقول لقلت ، ولكن لم يكن مقام سرور . فأعجب الناس ذلك منه

ومن أهل الدهاء والنكراء ، ومن أهل اللسن واللقن ، والجواب العجيب ، والكلام الصحيح ، والامثال السائرة ، والمخارج العجيبة «هِنْدُ بِنْتُ الْخُسِّ» وهي الزرقاء . و « خمعة بنت حابس »(١) ويقال ان حابساً من إياد . وقال عامر بن عبدالله الفزارى : جمع بين هند وخمعة ، فقيل لخمعة : أى الرجال أحب اليك؟ قالت : الشنق الكبد ، الظاهر الجلد ، الشديد الجذب بالمسد . فقيل لهند : أى الرجال أحب اليك ؟ قالت : القريب الامد ، الواسع البلد ، الذى يوفد اليه ولا يفد . وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت : من جعل بؤساً كأذى ! وقد ضرب بها المثل ، فمن ذلك قول ليلى بنت النضر الشاعرة :

وكنز ابن جُدْعانٍ دَلالَةَ أُمِّهِ ... وكانَتْ كَبِنْتِ الْخُسِّ أَوْهِيَ أَكْبَرُ

وقال ابن الاعرابى : يقال بنت الخس ، وبنت الخص ، وهى الزرقاء ، وبنت الخسف . وقال يونس : لا يقال الا بنت الأخسّ ، وهى الزرقاء . وقال أبو عمرو بن العلاء : داهيتا نساء العرب : هند الزرقاء ، وعنز الزرقاء . وهى زرقاء اليمامة .

قال اليَقْطُرِيُّ : قيل لعبد الله بن الحسن : ما تقول فى المراء ؟ قال : ما عسى أن أقول فى شىء يفسد الصداقة القديمة ، ويحل العقدة الوثيقة ؟ وان كان لأقل ما فيه ن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة ، إن رسول الله ﷺ لما أتاه السائب بن صيفى فقال : أتعرفنى يارسول الله ؟ قال : كيف لا أعرف شريكى الذى كان لا يشارينى ولا يمارينى ؟ قال : فتحولت الى زيد بن على فقلت له : الصمت خير أم الكلام ؟ قال : أخزى الله المساكتة ، فما أفسدها للبيان وأجلبها للحصر ، والله للمماراة أسرع فى هدم المعالى من النار فى يبس العرفج ، ومن السيل فى الحدور .

وقد عرف زيد أن المماراة مذمومة ولكنه قال : المماراة على ما فيها أقل ضرراً من المساكتة التى تورث البلدة ، وتحل العقدة ، وتفسد المنة ، وتورث عللا ، وتولد

(١) راجع ما كتبناه عنها محققاً فى هامش الصفحة ٥٥

أدواء أيسرها العى ، فالى هذا المعنى ذهب زيد

ومن الخطباء: خالد بن سلمة المخزومى من قريش ، وأبو حاضر ، وسالم ، وقد تكلم عند الخلفاء

ومن خطباء بنى أسيد: الحكم بن يزيد بن عمير، وقد رأس

ومن أهل اللسن منهم والبيان: الحجاج بن عُمير بن زيد

ومن الخطباء: سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية .

وقيل لسعيد بن المسيب : من أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله ﷺ . فقيل له: ليس عن هذا نسألك. قال: معاوية، وابنه ، وسعيد ، وابنه ، وما كان ابن الزبير بدونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طلاوة مقبولة

فمن العجب أن ابن الزبير ملأ دفاتر العلماء كلاما، وهم لا يحفظون لسعيد ابن العاص وابنه من الكلام الا مالا بال له.

وكان سعيد جوادا ولم ينزع قميصه قط ، وكان أسود نحيفا ، وكان يقال له : عُكّة العسل ،

وقال الحطيئة :

سَعِيدٌ فَلا يَغْرُرْكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ وهْوَ صَلِيبُ

وكان أول من خَشّ الابل فى نفس عظم الأنف ، وكان في تدبيره اضطراب. وقال قائل من أهل الكوفة:

يَاوَيْلَنَا قَدْ ذَهَبَ الْوَلِيدُ وَجَاءَنَا مُجَوِّعاً سَعِيدُ

يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ وَلاَ يَزِيدُ

والامراء تتحبب الى الرعية بزيادة المكاييل ، ولو كان المذهب فى الزيادة فى الاوزان كالمذهب فى الزيادة فى المكاييل ما قصروا ، كما سال الاحنف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الزيادة فى المكاييل ، ولذلك اختلفت أسماء المكاييل كالزيادى ، والفالج ، والخالدى ، حتى صرنا الى هذا الملجم اليوم

ثم من الخطباء « عمرو بن سعيد » وهو الاشدق ، يقال ان ذلك إنما قيل له لتشادقه فى الكلام . وقال آخرون بل كان أفقم مائل الذقن . ولذلك قال عبيد الله بن زياد حين أهوى الى عبد الله بن معاوية : يدك عنه يالطيم الشيطان ، ويا عاصى الرحمن .

وقال الشاعر :

وعَمْرُو لَطِيمُ الجِنِّ وَابنُ محمَّدٍ بأسْوَأ هذَا الأَمْرِ مُلْتَبِسَانِ

ذكر ذلك عن عوانة ، وهذا خلاف قول الشاعر :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالَ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ وكُلُّ خَطِيبٍ لاَ أَبَالَكَ أَشْدَقُ

وكان معاوية قد دعا به فى غِلمة من قريش ، فلما استنطقه قال : إن أول كل مركب صعب ، وان مع اليوم غدا . وقال له : إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال : ان أبى أوصى انىّ وام يوص بى . قال : وبأى شىء أوصاك ؟ قال : بان لا يفقد اخوانه منه إلا شخصه . فقال معاوية عنـد ذلك : إن ابن سعيد هذا لأشدق . فهذا يدل عندهم على أنه إنما سمى بالاشدق لمـكان التشادق

ثم كان بعد عمرو بن سعيد « سعيد بن عمرو بن سعيد » وكان ناسبا خطيبا ، وأعظم الناس كبرا . وقيل له عند الموت: ان المريض ليستريح إلى الانين،والى أن يصف ما به الى الطبيب ، فقال :

أجَالِيدُ مِنْ رَيْبِ المَنُونِ فَلاَ تَرَى على هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ

ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم ، فتكلموا من قيام وتـكلم وهو جالس ، فتبسم عبد الملك وقال : لقد رجوت عثرته ، ولقدأحسن حتى خفت عثرته . فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب

ومن الخطباء « سهيل بن عمرو الاعلم » أحد بنى جسل بن معيص ،وكان يكنى أبا يزيد ، وكان عظيم القدر ، شريف النفس ، صحيح الاسلام . وكان عمر رضي الله تعالى عنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله، انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا . فقال رسول الله ﷺ « لا أمثل فيمثل الله بى و إن كنت نبيا ، دعه ياعمر فعسى أن يقوم مقاما نحمده » فلما هاج أهل مكة عندالذى بلغهم من وفاة رسول الله ﷺ قام خطيبا فقال : أيها الناس ، ان يكن محمدقدمات فان الله حي لم يمت . وقد علمتم أنى أكثركم قتبا فى بر ، وجارية فى بحر ، فأقروا أميركم ، وأنا ضامن ان لم يتم الامر أن أردها عليـكم . فسكن الناس . وهو الذى قال يوم خرج إذن عمر وهو بالباب وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفلان وفلان ، فقال الآذن : أين بلال ، أين صهيب ، أين سلمان ، أين عمار ؟ فتمعرت

وجوه القوم ، فقال سهيل : لم تتمعر وجوهكم ؟ دعوا ودعينا فاسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر

ومن الخطباء « عبد الله بن عروة بن الزبير » قالوا كان خالد بن صفوان يشبه به ، وما علمت أنه كان فى الخطباء أحد أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب ابن شيبة للذى يحفظ الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما ، وما علمنا أن أحدا ولد لهما حرفا واحدا

ومن النسابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر « الحتف بن زيد بن جعونة » وهو الذى تعرض له دغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر بالبصرة فقال له : متى عهدك بسجاح أم صادر ؟ فقال له : مالى بها عهد منذ أضلت أم حلس . وهى بعض أمهات دغفل ، فقال له :

أنشدك بالله ، أنحن كنا لكم أكثر غزوا فى الجاهلية أم أنتم لنا ؟ قال : بل أنتم فلم تفلحوا ولم تنجحوا ، غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم فهزمناه مرة ، وأسرناه مرة ، وقتلناه مرة ، وأخذنا فى فدائه خدر أمه . وغزانا أكثركم غزوا وأنبهكم فى ذلك ذكرا فأعرجناه ثم أرجلناه . فقال ابن عامر : أسألكما بالله لما كففتما .

وكان عبد الله بن عامر ومصعب بن الزبير يحبان أن يعرفا حالات الناس ، فكانا يغريان بين الوجوه وبين العلماء ، فلا جرم أنهما كانا اذا سبا أوجعا

وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنسب هذه الامة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمد هو الذى نفى الى عنكة المخزوميين فرفع ذلك الى والى المدينة فجلده الحد . وكان ينشد :

وَيَرْبُوعُ بْنُ عَنْكَةَ ابْنُ أَرْضٍ وَأَعْتَقَهُ هُبَيْرَةُ بَعْدَ حِينِ

يعنى هبيرة بن أبى وهب المخزومى

ومن النسابين العلماء « عتبة بن عمرو » بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذوى الرأى والدهاء ، وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف . وعمر بن عبد الرحمن خامس خمسة فى الشرف ، وكان هو الساعى بين الازد وتميم فى الصلح

ومن بنى الحرقوس « شعبة بن القلعم » وكان ذا لسان وجواب وعارضة ، وكان وصافا فصيحا . وبنوه عبد الله ، وعمر ، وخالد ، كلهم كانوا فى هذه الصفة . غير أن خالدا كان قد جمع مع بلاغة اللسان : العلم والحلاوة والظرف ، وكان

الحجاج لا يصبر عنه

ومن بنى أسيد بن عمرو بن تميم «أبو بكر بن الحكم» كان ناسبا راوية شاعرا، وكان أحلى الناس لسانا، وأحسنهم منطقا، وأكثرهم تصرفا، وهو الذى يقول له رُؤبة :

لقدْ خَشِيتُ أنْ تكُونَ سَاحرا رَاوِيَةَ طَوْراً وطَوراً شَاعرا

ومنهم « معلل بن خالد » أحد بنى أنمار بن الهُجيم، وكان نسابة علامة راوية صدوقا مقلدا، وذُكر لِلْمُنْتَجِعِ بنِ نَبْهَانَ فقال : كان لايجارى ولا يمارى.

ومنهم من بنى العنبر ثم من بنى عمرو بن جندب « أبو الخنساء عباد بن كسيب» وكان شاعرا علامة، وراوية نسابة، وكانت له حرمة بابى جعفر المنصور

ومنهم « عمرو بن خولة » كان ناسبا خطيبا، وراوية فصيحا، من ولد سعيد بن العاص

والذى أتى سعيد بن المسيب ليعلمه النسب هو « اسحق بن يحيى بن طلحة »

وكان « يحيى بن عروة بن الزبير » ناسبا عالما، ضربه « ابرهيم بن هشام المخزومى» والى المدينة حتى مات لبعض القول

وكان « مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ ثَابِتٍ » ناسبا عالما، ومن ولده «الزبيرى» عامل الرشيد على المدينة واليمن

ومنهم ثم من قريش « محمد بن جعفر بن حفص » وهو ابن عائشة، ويكنى أبا بكر، وابنه « عبيد الله » كان يجرى مجراه، يكنى أبا عبد الرحمن

ومن خزاعة بن مازن « أبو عمرو » و « أبو سفيان » ابنا العلاء بن عمار ابن العريان.

فأما « أبو عمرو » فكان أعلم الناس بأمور العرب، مع صحة سماع، وصدق لسان. وحدثنى الاصمعى قال : جلست الى أبى عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامى قال : وقال مرة: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت أن آمر فتياننا برويته

يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما

وحدثنى أبو عبيدة :قال كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية، وبالقراءة والشعر وأيام الناس، وكانت داره خلف دار جعفر بن سليمان. وكانت كتبه التى

ركتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف، ثم انه تقرأها فاحرقها كلها ، فلما رجع بعد الى علمه الاول لم يكن عنده الا ماحفظه بقلبه. وكان عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية

وفى أبى عمرو بن العلاء يقول الفرزدق :

مَازِلتُ أفتحُ أبوَاباً وأُغلقها ... حَتى أتَيتُ أباعمرِو بن عمَّارِ

فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه مثل هذا القول ، فهو الذى لا يشك فى خطابته و بلاغته

وقال يونس : لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس .

وقال فى أبى عمرو مِكّىُّ بنُ سَوَادَةَ :

اَلْجَامعُ الْعِلْمَ نَسْاهُ وَيَحْفَظُهُ ... والصَّادِقُ الْقَوْلِ إنْ أنْدَادُهُ كَذَبُوا

وكان « أبو سفيان بن العلاء » ناسباً ، وكلاهما كناهما أسماؤهما . وكذلك « أبو عمرو بن لبيد » و « أبو سفيان بن العلاء » بن لبيد التغلبى خليفة « عيسى ابن شبيب المازنى » على شرط البصرة

وكان « عَقِيلُ بنُ أبِي طَالِبٍ » ناسباً عالماً بالامهات، بين اللسان، شديد الجواب ، لا يقوم له أحد .

وكان « ابو الجهم بن حذيفة العدوى » ناسباً شديد العارضة ، كثير الذكر للامهات بالمثالب .

ورؤساء النسابين « دَغْفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ » أحد بنى عمرو بن شيبان، لم يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظا .

ومن هذه الطبقة « زَيد بن الْكَيِّس النَّمرى » . ومن نسابى كلب « محمد ابن السائبِ » و « هشام بن محمد بن السائب » و « شرقى بن القطامى » .

وكان أعلاهم فى العلم ومن ضرب به المثل « حماد بن بشر »

قال سَمَّاكُ الْعُكلِي :

فَسائِلْ دَغْفَلاَ وأخا هِلاَلٍ ... وَنَحَّاراً يُنَبِّئكَ الْيَقِينَا

وقد ذكرنا دغفلا . وأخو هلال هو زَيد بن الكيس ، و بنو هلال حى من

النَّمِر بن قاسط .

وقال مسكين بو أنيف الدارمى فى ذلك :

وَعِنْدَ الْكَيِّسِ النَّمِرِيِّ عِلْمٌ ولوْ أمْسَى بِمُنْخَرِقِ الشِّمَالِ

وقال ثابت قطنة :

فَمَا الْعَضَّانِ لَوْ سُئِلا جَمِيعاً أخُو بَكْرٍ وَزَيْدُبني هِلالِ

ولا الْكَلْبِيُّ حَمَّادُ بْنُ بِشْرٍ ولا مَنْ قادَ في الزَّمَنِ الخَوَالِي

وقال زياد الاعجم :

بَلْ لَوْ سَأَلْتَ أخا رَبِيعَةَ دَغْفَلاً لَوَجَدْتَ في شَيْبَانَ نِسْبَةَ دَغْفَلِ

إِنَّ الاحايِنَ والَّذِينَ يَلُونَهُمْ شَرُّ الأنامِ ونَسْلُ عَبْدِ الأعْزَلِ

يهجو فيها بنى الخنساء .

ومنهم « إياس النصرى » كان أنسب الناس ، وهو الذى قال : كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دواد الايادى ، وعدى بن زيد العبادى .

وكان « أبو نَوفل بن أبى عقرب » علامة ناسباً خطيباً فصيحاً ، وهو رجل من كنانة أحد بنى عريج .

ومن بنى كنانة ثم من بنى الشَّدَّاخ « يزيد بن بكر بن دأب » وكان يزيد عالماً ناسباً ، وراوية شاعراً ، وهو القائل :

اللهُ يَعْلَمُ في عَلِيٍّ عِلْمَهُ وكَذَاكَ علْمُ اللهِ في عُثْمانِ

وولدَ يزيدُ : « يحيى » و « عيسى » هو الذى يعرف فى العامة « بابن دأب » وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية ، وصاحب رسائل وخطب ، وكان يجيدها جداً .

ومن آل دأب « حذيفة بن دأب » وكان عالماً ناسباً . وفى آل دأب علم بالنسب والخبر

وكان « أبو الأسود الدؤلى » ـ واسمه ظالم بن عمرو بن جَندل بن سفيان ـ خطيباً عالماً ، وكان قد جمع شدة العقل ، وصواب الرأى ، وجودة اللسان ، وقول الشعر ، والظرف ، وهو يعد فى هذه الاصناف ، وفى الشيعة ، وفى العرجان ، وفى المفاليج .

وعلى كل شيء من هذا شاهد سيقع فى موضعه ان شاء الله تعالى

وقال الخس لابنته هند : أريد شراء خل لابلى . قالت : إن اشتريته فاشتره أسجح الحدين،غائر العينين ، أرقب ، أخرم ، أعكى ، أكوم . إنعصى غشم، وإن أطيع نجرثم . وهى التى قالت لما قيل لها : ماحملك على أن زنيت بعبدك ؟ قالت : طول السواد ، وقرب الوساد .

السواد : السرار . أسجح : سهل واسع ، يقال : ملكت فأسجح . أرقب : غليظ الرقبة . أخرم : منتفخ موضع المخرم . أعكى : العكوة مغرزالوركين فى المؤخر. تصفه بشدة الوركين . إن عصي غشم : إن عصته الناقة غصبها نفسها . نجرثم : أى بقى ، مأخوذ من الجرثومة وهى الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها . تصفه بالصبر والقوة على الضراب . أكوم : عظيم السنام .

وقال الشاعر فى السواد :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحَكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوَادُهَا

يقال : فى لسان فلان حكلة ، اذا كان شديد الحبسة مع لثغ

قالوا وعاتب هشام بن عبدالملك زيد بن على فقال له : بلغنى عنك شيء . فقال: ياأمير المؤمنين ، أحلف لك ؟ قال : واذا حلفت لى أصدقك ؟ قال : نعم . ان الله لم يرفع أحداً فوق أن لايرضى به ، ولم يضع أحداً دون أن لايرضى منه به

كان « زِيَادُ بنُ ظُبْيَانَ »التيمى العايشى خطيباً ، فدخل عليه ابنه عبيد الله وهو يكيد (١) بنفسه ، قال : ألا أوصى بك الامير زياداً ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : اذا لم يكن للحى الا وصية الميت ، فالحى هو الميت .

وكان «عبيد الله » أفتك الناس وأخطب الناس . وهو الذى أتى باب « مالك ابن مسمع »ومعه نار ليحرق عليه داره.وقدكان نابه أمر فلم يرسل إليه قبل الناس. فأشرف عليه مالك فقال : مهلا يا أبا مطر ، فو الله إن فى كنانتى سهما أنا به أوثق منى بك. قال :وانك لتعدنى فى كنانتك ؟ فوا الله لو ان قمت فيها لطلتها ، ولو قعدت فيها لخرقتها . قال مالك : مهلا ، أكثر الله في العشيرة مثلك . قال : لقد سألت الله شططا .

(١) يكيد بنفسه ، يقاسي المشقة فى سياقه عند الاحتضار

ودخل « عبيد الله » على « عبدالملك بن مروان » بعد أن أتاه برأس مُصعب ابن الزبير ، ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل ، فأراد أن يقعد معه على سريره ، فقال له عبد الملك : ما بال الناس يزعمون أنك لا تشبه أباك ؟ قال : والله لأنا أشبه بأبى من الليل بالليل ، والغراب بالغراب ، والماء بالماء ، ولكن إن شئت أنبأتك بمن لا يشبه أباه . قال : ومن ذاك ؟ قال : من لم يولد لتمام ، ولم تنضجه الارحام ، ولم يشبه الاخوال والاعمام . قال : ومن ذاك ؟ قال : ابن عمى سويد بن منجوف . قال عبد الملك : أو كذلك أنت ياسويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا من عنده اقبل عليه سُويد فقال : وَرِيت بك زنادى ، والله ما يسرنى أنك نقصته حرفاً واحداً مما قلت له وأن لى حُمرَ النعم . قال: وأنا والله ما يسرنى بحلمك اليوم عنى سود النعم. وأتى « عبيدالله » عتاب بن ورقاء ، وعتاب على أصبهان ، فأعطاه عشرين ألف درهم فقال : والله ما أحسنت فاحمدك ، ولا أسأت فأذمك ، وانى لأقرب البعداء وأبعد القرباء . وقال أشيم بن شقيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان : ما أنت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان؟ قال : اسكت فانت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج

فما ظنك ببلاغة رجل عبيد الله بن زياد يضرب به المثل؟

وانما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان فى الخطب، وأولى من كل دلالة استنطاق علىّ له

وكان « عثمان بن عروة » أخطب الناس ، وهو الذى قال: والشكر وإن قل، ثمن لكل نوال وإن جل

وكان « ثابت بن عبد الله بن الزبير » من أبين الناس . ولم يكن خطيبا

وكان « قسامة بن زهير » أحد بنى رزام بن مازن، مع زهده ونسكه ومنطقه، من أبين الناس ، وكان يعدل بعامر بن عبد قيس فى زهده ومنطقه، وهو الذى قال : رَوحوا هذه القلوب تعى الذكر . وهو الذى قال : يامعشر الناس، إن كلامكم أكثر من صمتكم ، فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفكر . وهو الذى كان رسول عمر فى البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبى بكرة

وكان « خالد بن يزيد بن معاوية » خطيبا شاعراً ، وفصيحا جامعا ، وجيد الرأى كثير الادب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء

ومن خطباء قريش « خالد بن سلمة المخزومى »وهو ذو الشفة .وقال الشاعر فى ذلك :

فما كانَ قَائِلُهُمْ دَغْفَلٌ ولا الحَيْقطانُ وَلاَ ذُو الشَّفَهْ

ومن خطباء العرب «عطاردُ بنُ حاجبِ بنِ زُرَارَةَ» وهو كان الخطيب عند النبى ﷺ وقال فيه الفرزدق بن غالب :

ومِنَّا خَطِيبٌ لا يُعَابُ وَحَامِلٌ أَغَرُّ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ المَجَامِعُ

ومن الخطباء « عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود » وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعراً . ولما رجع عن قول المرجئة إلى قول الشيعة قال :

وَأَوَّلُ مَانُفَارِقُ غَيْرَ شَكٍّ نُفَارِقُ مَا يَقُولُ المُرْجِئُونَا
وَقَالوا مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ جَوْرٍ وَلَيْسَ المُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينَا
وَقَالوا مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلاَلٌ وَقَدْ حَرُمَتْ دِمَاءُ المؤمنينَا

وكان حين هرب إلى محمد بن مروان فى فل ابن الاشعث ألزمه ابنه يؤدبه ويقومه فقال له يوما : كيف ترى ابن أخيك ؟ قال : ألزمتنى رجلا إن غبت عنه عتب . وان أتيته حجب . وان عاتبته غضب . ثم لزم عمر بن عبد العزيز . وكان ذا منزلة منه . قالوا :وله يقول جرير :

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّى قَدْ مَضَى زَمَنِى
أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لاَقِيَهُ أَنِّى لَدَى الْبَابِ كَالمَشْدُودِ فِى قَرَنِ
وَقَدْ رَآكَ وُفُودُ الخَافِقَيْنِ مَعاً وَمُذْ وَلِيتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ تَرَنِى

وكان « الجارود بن أبى سبرة » ـ ويكنى أبا نوفل ـ من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلقا . وكان من رجال الشيعة ، ولما استنطقه الحجاج قال : ما ظننت أن بالعراق مثل هذا ؟ وكان يقول : ما أمكننى وال قط من أذنه إلا غلبت عليه . ما خلا هذا اليهودى ـ يعنى بلال بن أبى بردة ـ وكان عليه متحاملا،فلما بلغه أنه دهق حتى دقت ساقه وجعل الوتر فى خصييه أنشا يقول:

لَقَدْ قَرَّ عَيْنِي أَنَّ سَاقَيْهِ دُقَّتَا ... وَأَنَّ قُوَى الأَوْتَارِ فِي البَيْضَةِ اليُسْرَى
بَخِلْتَ وَرَاجَعْتَ الخِيَانَةَ وَانْحَنَا ... فَيَسَّرَكَ اللهُ المُقَدَّسُ لِلعُسْرَى
فَمَا جِذْعُ سُوءٍ خَرَّبَ السُّوسُ جَوْفَهُ ... يُعَالِجُهُ النَّجَّارُ يُبْرَى كَمَا تُبْرَى

وانما ذكر الخصية اليسرى لان العامة تقول ان الولد منها يكون

ومن الخطباء الذين لا يضاهون ولا يجارون « عبد الله بن عباس » قالوا خطبنا بمكة ـ وعثمان رضي الله تعالى عنه محاصرا ـ خطبة لو شهدتها الترك والديلم لاسلمتا: وذكره حسان بن ثابت فقال :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ ... بِمُلْتَقَطَاتٍ لا تَرَى بَيْنَهَا فَصْلاَ
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ وَلَمْ يَدَعْ ... لِذِي إِرْبَةٍ فِي القَوْلِ جِدًّا وَلا هَزْلاَ
سَمَوْتَ إِلَى العُلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ ... فَنِلْتَ ذُرَاهَا لا دَنِيًّا وَلا وَغْلاَ

وقال الحسن : كان عبد الله بن عباس أول من عرف بالبصرة صمد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرها حرفا حرفا . وكان والله مثجا يسيل غربا . وكان يسمى « البحر » و « حبر قريش » وقال النبي ﷺ « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وقال عمر :غص غواص . ونظر اليه يتكلم فقال :

شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

الشعر لابى أخزم الطائى وهو جد أبى حاتم طى أوجد جده . وكان له ابن يقال له أخزم فمات وترك بنين ، فوثبوا يوما على جدهم أبى أخزم فأدموه ، فقال:

إِنَّ بَنِيَّ زَمَّلُونِي بِالدَّمِ ... شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

أى انهم أشبهوا أباهم فى طبيعته وخلقه . وأحسبه كان به عاقا . فهكذا ذكر ابن الكلبي . والشنشنة مثل الطبيعة والسجية . فاراد عمر رضي الله تعالى عنه: إنى أعرف فيك مشابهة فى أبيك فى رأيه وعقله . ويقال إنه لم يكن لقرشي مثل رأى العباس

ومن خطباء بنى هاشم أيضا « داود بن على » وكان يكنى أبا سليمان . وكان

أنطق الناس وأجودهم ارتجالا واقتضابا للقول . ويقال إنه لم يتقدم فى تحبير خطبة قط . وله كلام كثير معروف محفوظ . فمن ذلك خطبته على أهل مكة : شكرا شكرا ، أما والله ما خرجنا لنحتفر فيكم نهرا ، ولا لنبنى فيكم قصرا . أظن عدو الله أن لم نظفر به أن أرخى له فى زمامه . حتى عثر فى فضل خطامه ؟ فالآن عاد الأمر فى نصابه . وطلعت الشمس من مطلعها . وأخذ القوس باريها . وعاد النبل إلى النزعة . ورجع الأمر الى مستقره، فى أهل بيت نبيكم، أهل بيت الرأفة والرحمة

ومن خطباء بنى هاشم « عبد الله بن الحسن » وهو القائل لابنه ابرهيم أو محمد: أى بنى ، إنى مؤد إليك حق الله فى تأديبك فاد إلىّ حق الله فى حسن الاستماع . أى بنى ، كف الأذى ، وارفض البذاء ، واستعن على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها إلى القول . فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب . واحذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشا ، يوشك أن يورطاك بمشورتهما فيسبق اليك مكر العاقل وغرارة الجاهل .

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد استثقل « سهل بن هرون » فدخل عليه سهل يوما والناس عنده على منازلهم ، فتكلم المامون بكلام فذهب فيه كل مذهب . فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هرون على ذلك الجمع فقال: ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفهمون ، وتفهمون ولا تعجبون ، وتنظرون ولا تبصرون ؟ والله انه ليفعل ويقول فى اليوم القصير مثل ما فعل بنو مروان وقالوا فى الدهر الطويل . عربكم كعجمهم، وعجمكم كعبيدهم . ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء ؟ قال : فرجع له المامون بعد ذلك إلى الرأى الاول

ومن خطباء بنى هاشم ، ثم من ولد جعفر بن سليمان « سليمان بن جعفر » والى مكة . قال المكى سمعت مشايخنا من أهل مكة يقولون: انه لم يرد عليهم أمير منذ عقلوا الكلام إلا وسليمان أبين منه قاعداً وأخطب منه قائما

وكان « داود بن جعفر » إذا خطب استحنفر ، فلم يرده شىء . وكان فى لسانه شبيه بالرثة

وكان « أيوب » فوق داود فى الكلام والبيان ، ولم يكن له مقامات داود

فى الخطب . قال عيسي بن اسحق لداود بن جعفر : بلغنى أن معاوية قال للنخار بن أوس : أبغنى محدثا . قال : ومعى يا أمير المؤمنين تريد محدثا ؟ قال : نعم ، استريح منك إليه ومنه إليك . وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتك فى حال من الحالات أوفق لى من كلامك .

وكان « اسماعيل بن جعفر » من أدق الناس لسانا وأحسنهم بيانا

ومن خطباء بنى هاشم « جعفر بن حسن » بن الحسين بن على ، وكان أحد من ينازع زيدا فى الوصية ، فكان الناس يجتمعون ليسمعوا محاوباتهما فقط

وجماعة من ولد العباس فى عصر واحد لم يكن لهم نظراء فى أصالة الرأى ، وفى الكمال والجلالة ، وفى العلم بقريش والدولة ، وبرجال الدعوة ، مع البيان العجيب ، والغور البعيد ، والنفوس الشريفة ، والاقدار الرفيعة . وكانوا فوق الخطباء ، وفوق أصحاب الاخبار . وكانوا يجلون عن هذه الاسماء الا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك

منهم « عبد الملك بن صالح » ساله الرشيد ـ وسليمان بن أبى جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان ـ فقال له : كيف رأيت أرض كذا وكذا ؟ قال : مسافى ريح ، ومنابت شيح . قال : فارض كذا وكذا ؟ قال : هضاب حمر ، وبراث عفر . حتى انى على جميع ما أراد . فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغى لنا أن نرضى لانفسنا بالدون من الكلام .

الهضبة : الجبل ينبسط على الارض ، وجمعها هضاب . والبراث : الاماكن اللينة السهلة ، واحدها برث . وقوله : عفر ، أى حمرتها كحمرة التراب . والظبى الاعفر الاحمر ، لان حمرته كذلك والعَفر والعَفَر : التراب . ومنه قيل : ضربه حتى عفره ، أى ألحقه بالتراب

ومن هؤلاء « عبد الله بن صالح » و « العباس بن محمد » و « اسحق بن عيسى » و « اسحق بن سليمان » و « أيوب بن جعفر » هؤلاء كانوا أعلم بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة من المعروفين برواية الاخبار . وكان ابرهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشىء هو خلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى ، وابن الكلبى ، واذا سمعته علمت أنه ليس من المؤلف المزور

وكان « عبد الله بن على » و « داود بن على » يعدلان بامة من الأمم .

ومن مواليهم « ابرهيم »و « نصر » ابنا « السندى »

فاما « نصر » فكان صاحب أخبار وأحاديث ، وكان لا يعدو حديث ابن الكلبي والهيثم

وأما « ابرهيم »فانه كان رجلا لا نظير له ، وكان خطيبا ، وكان ناسبا ،وكان فقيها، وكان نحويا عروضيا ، وحافظا للحديث ، راوية للشعر ، شاعرا . وكان فخم الألفاظ ، شريف المعانى . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رؤبة ، ويعمل فى الخراج بعمل زاذان فروح الاعور . وكان منجما ، طبيبا ، وكان من رؤساء المتكلمين . وعالما بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوما وأصبرهم على السهر

ومن خطباء تميم « جحدب » وكان خطيبا راوية ، وكان قضى على جرير فى بعض مذاهبه ، فقال جرير :

قَبَحَ الالهُ وَلا يُقَبِّحُ غيرُهُ بَظْراً تَفَلَّقَ عَنْ مَفَارِقِ حَجْدَبِ

وهو الذى كان لقية خالد بن سلمة المخزومى الخطيب الناسب فقال : والله ما أنت من حنظلة الاكرمين ، ولا سعد الاكثرين ، ولا عمرو الاسدين ، وما فى تميم خير بعد هؤلاء . فقال له جحدب : والله انك لمن قريش ، وما أنت من بيتها، ولا من ثبوتها ، ولا من شورها وخلافتها ، ولا من أهل سدانتها وسقايتها

وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان للعبدرى ، فانه قال له : هشمتك هاشم ، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وأنت من عبد دارها ، ومنتهى عارها ، تفتح لها الابواب اذا أقبلت ، وتغلقها اذا أدبرت .

ومن ولد المنذر « عبد الله بن شبرمة » بن طفيل بن هبيرة بن المنذر . وكان فقيها عالما قاضيا . وكان راوية شاعرا . وكان خطيبا ناسبا . وكان حاضر الجواب مفوها . وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يشبه بعامر الشعبي . وكان يكنى أباشبرمة. وقال يحيي بن نوفل :

لما سألتُ النّاسَ أينَ المكرُمَهْ وَالعزُّ والجرثومَةُ المُقدَّمَهْ

وأينَ فَارُوقُ الأُمُورِ المُحْكَمَهْ تَتابَعَ النّاسُ على ابنِ شُبْرُمَهْ

وابن شبرمة الذى يقول فى ابن أبى ليلى :

وكيفَ تُرجَّى لِفصْلِ القضاءِ ... وَلَمْ تُصبِ الحُكْمَ فى نَفسِكا

فتَزْعُمُ أنَّكَ لابْنِ الجَلاحِ ... وهَيْهاتَ دَعْوَاكَ مِنْ أصْلِكا

وقال رجل من فقهاء المدينة: من عندنا خرج العلم. فقال ابن شبرمة: نعم، ثم لم يرجع اليكم. وقال عيسى بن موسى: دلونى على رجل أوليه مكان كذا وكذا. فقال ابن شبرمة: أصلح الله الامير، هل لك فى رجل إن دعوتموه أجابكم، وإن تركتموه لم يأتكم، ليس بالملحّ طلبا، ولا بالممعن هربا؟

وسئل عن رجل فقال: إن له شرفاً وبيتاً وقدماً. ونظروا فإذا هو ساقط من السفلة، فقيل له فى ذلك؟ فقال: ما كذبتُ، شرفه أذناه، وقدمه التى يمشى عليها، ولا بد من أن يكون له بيت يأوى اليه

قال أبو اسحق: بل كذبتَ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمة عن رجل فقال: هو يبيع الدواب. فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير، فلما سئل عن ذلك قال: ما كذبتُ، لأن السنورَ دابة. قال أبو اسحق: بل لعمرى لقد كذب. وهذا مثل القائل حين سئل عن رجل فى تزويج امرأة فقال: رزينُ المجلس، نافذُ الطعنة، فحسبوه سيدا فارسا، فنظروا فوجدوه خياطاً، فسئل عن ذلك فقال: ما كذبتُ، انه لطويل الجلوس، جيد الطعن بالابرة. فقال أبو اسحق: بل لعمرى لقد كذب، لانه قد غرهم منه. وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يسلفه مالا عظيما فقال: هو يملك مالا كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف. فلما بايعه الرجل وجده منعدما ضعيف الحيلة. فلما قيل له فى ذلك قال: ما كذبتك لانه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه. حتى عد جميع أعضائه وجوارحه.

ومن قال للمستشير هذا القول فقد غره، وذلك مما لا يحل فى دين، ولا يحسن في الحرية، وهذا القول معصية لله تعالى والمعصية لا تكون صدقا. وأدنى منازل هذا الخبر لا يسمى صدقا. فاما التسمية له بالكذب فان فيها كلاما يطول

ومن الخطباء المشهورين فى العوام والمقدمين فى الخواص «خالد بن صفوان الاهتمى» زعموا جميعاً انه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين وكان من سماره وأهل المنزلة عنده، ففخر عليه ناس من بنى الحارث بن كعب وأكثروا فى القول، فقال أبو العباس: لم لا تتكلم يا خالد؟ فقال: أخوال أمير المؤمنين وعصبته. قال: فاتم

أعمام أمير المؤمنين وعصبته . قال خالد : وما عسى أن أقول لِقوم كانوا بين ناسج بُرد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، وراكب عرد . دل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة ، وملكتهم امرأة ؟

فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام إنه للراوية الحافظ، والمؤلف المجيد. ولئن كان هذا شيئا حضره حين حرك وبسط فما له نظير فى الدنيا . فتامل هذا الكلام فانك ستجده مليحا مقبولا، وعظيم القدر جليلا . ولو خطب اليمانى بلسان سحبان وائل حولا كريتا (١) ثم صُك بهذه الفقرة ما قامت له قائمة

وكان أذكر الناس لاول كلامه وأحفظهم لكل شيء سلف من منطقه . قال مَكى بنُ سوادة فى صفته له :

عَلِيمٌ بِتَنْزِيلِ الكَلَامِ مُلَقَّنٌ ذَكُورٌ لِمَا سَدَّاهُ أَوَّلَ أَوَّلَا

يَبُثُّ قَرِيعَ القَوْمِ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ وإِنْ كَانَ سَحْبَانَ الخَطِيبَ وَدَغْفَلَا

تَرَى خُطَبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ ارْتِجَالِهِ كَأَنَّهُمُ الكِرْوَانُ عَايَنَ أَجْدَلَا

الكِروان : جمع كَروان ، وهو ذكر الحبارى. والاجدل : الصقر

وكان يقارض « شبيب بن شيبة » لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة . فذكر شبيب عنده مرة فقال : ليس له صديق فى السر ، ولا عدو فى العلانية . وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون فى هذه الصناعة.

وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل ، فقالت له امرأة: انك لجميل يا أباصفوان. قال : وكيف تقولين هذا وما فىّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه ؟ فقيل له : ما عمود الجمال ؟ قال : الطول ولست بطويل ، ورداؤه البياض ولست بأبيض ، وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط . ولكن قولى : إنك لمليح ظريف . وخالد يعد فى الصلعان

ولكلام خالد كتاب يدور فى أيدى الوراقين

وكان « الازهر بن عبدالحارث » بن ضرار بن عمرو الضبى ، عالما ناسبا ومن خطباء بنى ضبة « حنظلة بن ضرار » وقد أدرك الاسلام وطال عمره حتى

(١) حولا كريتا : أى عاما كاملا

أدرك يوم الجمل ، وقيل له : ما بقى منك ؟ قال : أذكر القديم ، وأنسى الحديث ، وآرق بالليل ، وأنام وسط القوم

ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم « مشجور بن غيلان » بن خرشة، وكان مقدما في المنطق ، وهو الذى كتب إلى الحجاج : انهم قد عرضوا على الذهب والفضة، فما ترى أن آخذ ؟ قال : أرى أن تأخذ الذهب . فذهب عنه هاربا ، ثم قتله بعد

وذكره القلاح بن حزن المنقرى فقال :

مِثَالُ مَشْجُورٍ قَلِيلٌ وِمِثْلُهُ ... فَتَى الصِّدْقِ إِنْ صَفَّقْتَهُ كُلَّ مُصَفَّقِ

وَمَا كُنْتُ أَشْرِيهِ بِدُنْيا عَرِيضَةٍ ... وَلَا ابْنِ خَالٍ بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ

إِذَا قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ مَقَالُهُ ... وَيَأْخُذُ مِنْ أَكْفَائِهِ بِالْمُخَنَّقِ

ومن خطباء الخوارج « قَطَرِىُّ بنُ الفُجَاءَةِ » له خطبة طويلة مشهورة ، وكلام كثير محفوظ . وكانت له كنيتان : كنية فى السلم ، وهو: أبو محمد، وكنية في الحرب، وهو: أبو نعامة

وكانت كنية « عامر بن الطفيل » فى الحرب غير كنيته فى السلم . كان يكنى فى الحرب بأبى عقيل ، وفى السلم : بأبى على

وكان « يزيد بن مَزْيَد » يكنى فى السلم بأبى خالد ، وفى الحرب بابى الزبير

وقال مسلم بن الوليد الانصارى :

لَوْلَا سُيُوفُ أَبِي الزُّبَيْرِ وَخَيْلُهُ ... بَشَرَ الوَلِيدُ بِسَيْفِهِ الضَّحَّاكَا

وفيه يقول :

لَوْلَا يَزِيدُ وَمِقْدَارٌ لَهُ سَبَبٌ ... عَاشَ الوَلِيدُ مَعَ الغَاوِينَ أَعْوَامَا

سَلَّ الخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ بَنِى مَطَرٍ ... يَمْضِى فَيَخْتَرِقُ الأَرْوَاحَ وَالْهَامَا

إِذَا الخِلَافَةُ عُدَّتْ كُنْتَ أَنْتَ لَهَا ... عِزًّا وَكَانَ بَنُو العَبَّاسِ حُكَّامَا

ألا تراه قد ذكر قتل الوليد

وقد كان « خالد بن يزيد » اكتنى بها فى الحرب فى بعض أيامه بمصر

وهذا الباب مستقصى مع غيره فى أبواب الكنى والاسماء وهو وارد عليكم ان شاء الله تعالى

ومن خطباء الخوارج « ابن صديقة » وهو القاسم بن عبد بالرحمن بن صديقة ، وكان صفريا، خطيبا ناسبا ، ويشوبه ببعض الظرف والهزل

ومن علماء الخوارج « شُبَيْلُ بْنُ عَزْرَةَ الضَّبُعِي » صاحب الغريب، وكان راوية خطيبا ، وشاعرا ناسبا ، وكان سبعين سنة رافضيا ، ثم انتقل خارجيا صفريا

ومن علماء الخوارج « الضحاك بن قيس الشيبانى » ويكنى أبا سعيد ، وهو الذى ملك العراق وسار فى خمسين ألفا ، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وصليا خلفه

وقال شاعرهم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ ... وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ

وكان « ابن عطاء الليثي » يسامر الرشيد ، وكان صاحب أخبار وأسمار ، وعلم بالانساب ، وكان أظرف الناس وأحلاهم

وكان « عبد العزيز بن عبد الله بن عامر » بن كريز ، راوية ناسبا ، وعالما بالعربية فصيحا

وكان « عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر » من أبين الناس وأفصحهم ، وكان مسلمة بن عبد الملك يقول : إنى لأنحى كور العمامة عن أذنى لاسمع كلام عبد الاعلى ابن عبد الله . وقال بعض الامراء .. وأظنه بلال بن أبى بردة ـ لابى نوفل الجارود بن أبى سبرة : ماذا تصنعون عند عبد الاعلى إذا كنتم عنده ؟ قال : يشاهدنا باحسن استماع وأحسن حديث ، ثم يأتى الطباخ فيمثل بين عينيه فيقول : ماعندك؟ فيقول : عندى لون كذا ، وجدى كذا ، ودجاجة كذا ، ومن الحلو كذا . قال : ولم يسأل عن ذلك ؟ قال : ليقصر كل رجل عما لا يشتهى حتى يأتيه ما يشتهى، ثم يأتون بالخوان فيتضايق و نتسع، و يقصر ونجتهد، فاذا شبعنا خوى نخوية الظليم ثم أقبل يأكل أكل الجائع المقرور

والجارود هو الذى قال : سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . وهو

الذى قال :عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر،ويجلو البصر ،ويجلب الخبر ، ويجمع بين ربيعة ومضر .

وصعد عثمان المنبر فارتج عليه فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهـذا المقام مقالا ، وأنتم إلى امام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب . وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون ان شاء الله تعالى

وشخص « يزيد بن عمر بن هبيرة » الى هشام بن عبدالملك فتـكلم ،فقال هشام: مامات من خلف مثل هذا . فقال « الابرش الكلبي » : ليس هنـاك ، أما تراه يرشح جبينه لضيق صدره ؟ قال يزيد : ما لذلك رشح ، ولكن لجلوسك فى هـذا الموضع .

وكان الابرش ثلاثة نسابة ، وكان مصاحبا لهشام بن عبدالملك ، فلما أفضت إليه الخلافة سجد وسجد من كان عنده من جلسائه ، والابرش شاهد لم يسجد ، فقال له هشام : ما منعك أن تسجد يا أبرش ؟ قال : ولم أسجد وأنت اليوم معى ماشيا وغدا فوق طائرا ؟ قال : فان طرت بك معى ؟ قال : أتراك فاعلا ؟ قال : نعم . قال : فالآن طاب السجود . ودخل يزيد بن عمر على المنصور ـ وهو يومئذ أمير ـ فقال : أيها الامير ، ان عهد الله لا ينكث ، وعقده لا يحل ، وإن إمارتكم بكر ،فاذيقوا الناس حلاوتها، وجنبوهم مرارتها .

قال سهل بن هرون : دخل قطرب النحوى على المخلوع فقال: يا أمير المؤمنين، كانت عدتك أرفع من جائزتك . وهو يتبسم ، قال سهل: فاغتاظ الفضل بن الربيع ، فقلت له : ان هذا من الحصر والضعف،وليس هذا من الجلد والقوة ، أما تراه يفتل أصابعه ويرشح جبينه ؟

وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومى : من أخطب الناس ؟ قال : أنا . قال : ثم من ؟ قال : سيد جذام . يعنى روح بن زنباع . قال : ثم من ؟ قال : أخيفش ثقيف . يعنى الحجاج . قال : ثم من ، قال : أمير المؤمنين . قال : ويحك ،جعلتنى رابع أربعة ، قال : نعم ، هو ما سمعت .

ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم فى الفتيا،وشعرائهم ورؤساء قعدهم

« عِمْرَانُ بنُ حِطَّانٍ »

ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم « حبيب بن خدرة الهلالى » وعداده فى بنى شيبان .

وممن كان يرى رأى الخوارج « أبو عبيدة » النحوى معمر بن المثنى مولى تيم بن مرة ولم يكن فى الارض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلم منه.

وممن كان يرى رأى الخوارج « الهيثم بن عدى » الطائى ثم البحترى

وممن كان يرى رأى الخوارج « شعيب بن رباب » الحنفى أبو بكار صاحب احمد بن أبى خالد ومحمد بن حسان السكسكى

ومن الخوارج من علمائهم ورواتهم « مسلم بن كرزين » وكنيته أبو عبيدة وكان اباضيا

ومن علمائهم الصفرية، وممن كان مقنعا فى الاخبار لاصحاب الخوارج والجماعة جميعا « مليل » وأظنه من بنى ثعلبة

ومن أهل هذه الصنعة « أصفر بن عبد الرحمن » من أخوال « طوق بن مالك »

ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم « المقمطِلُ » قاضى عسكر الازارقة أيام قطرى .

ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم « عبيدة بن هلال اليشكرى » وكان فى بنى السمين ، ومن بنى شيبان خطباء العرب ، وكان فيهم ذاك فاشيا ، ولذلك قال الاخطل :

فأيْنَ السَّمِينُ لاَ يَقُومُ خَطِيبُهَا وَأيْنَ ابنُ ذِى الجَدَّيْنِ لاَ يَتَكَلَّمُ

وقال سحيم بن حفص : كان « يزيد بن عبدالله بن رؤبة الشيبانى » من أخطب الناس عند « يزيد بن الوليد » فأمر للناس بعطاءين

ومن الخطباء « معبد بن طوق العنبرى » دخل على بعض الامراء فتكلم وهو قائم فأحسن ، قال فلما جلس تلهيع فى كلامه ، فقال له : ما أظرفك قائما وأموقك قاعداً ! قال : إنى إذا قمت جددت ، واذا قعدت هزلت . قال ما : أحسن ما خرجت منها !

ومن خطباء عبد القيس «مَصْقَلَةُ بنُ رَقَبَةَ بنِ مَصْقَلَةَ» و«كَرِبُ بنُ رَقَبَةَ» والعرب قد ذكروا من خطب العرب «العجوز» وهي خطبة لآل رقبة، ومتى تكلموا فلا بد لهم منها أو من بعضها «والعذراء» وهي خطبة «قيس بن خارجة» لانه كان أبا عذرها. «والشوهاء» وهي خطبة «سحبان وائل» وقيل ذلك لها من حسنها، وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب

وكان «أبو عمار الطائي» خطيب مذحج كلها فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته، وكان النعمان أحمر العينين، أحمر الجلد، أحمر الشعر، وكان شديد العربدة، قتالا للندماء، فنهاه أبو قردودة الطائي عن منادمته، فلما قتله رثاه فقال:

انّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمّارٍ وَقُلْتُ لهُ ... لاَ تأمَنَنْ أحْمَرَ العَيْنَيْنِ والشَّعَرَه

إنَّ المُلُوكَ متَى تَنْزِلْ بِساحَتِهِمْ ... تَطِرْ بِنارِكَ مِنْ نِيرانِهِمْ شَرَرَه

يا جَفْنَةً كازاءِ الحَوْضِ قَدْ هَدَمُوا ... وَمَنْطِقاً مِثْلَ وَشْيِ اليُمْنَةِ الحَبَرَهْ

وقال الاصمعي: هو كقوله:

وَمَنْطِقٌ خُرِّقَ بالعَواسِلِ ... لَذَّ كَوَشْيِ اليُمْنَةِ المَراجِلِ

وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر فقال: انه لمانع لحوزته، مطاع في أذينه. قال الزبرقان: يارسول الله، إنه ليعلم مني أكثر مما قال، ولكنه حسدني يارسول الله في شرفي فقصر بي. فقال عمرو: هو والله زَمِرُ المُرُوءة ضيقُ العطن، لئيم الخال. فنظر النبي ﷺ في عينيه فقال: يارسول الله، رضيت فقلتُ أحسنَ ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الاولى، ولقد صدقت في الآخرة: فقال رسول الله ﷺ «إنّ منَ البيان لسحرا»

وتكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبد العزيز ـ وكانت حاجته في قضائها مشقة ـ فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز وتأتى لها فقال عمر: والله ان هذا للسحر الحلال.

ومن أصحاب الاخبار والاثار «أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة» وكان القاضي قبل أبي يوسف

ومن أصحاب الاخبار والاثار « أبو هُنَيْدَة »و « أبو نعامة »العدويان

ومن الخطباء « أيوب بن القرية »وهو الذى لما دخل على الحجاج قال له: ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال: ثلاثة حروف ، كأنهن ركب وقوف ،دنيا وآخرة ومعروف . ثم قال له فى بعض ما يقول : أقلنى عثرتى ، وأسغنى ريقى ، فانه لا بد للجواد من كبوة ، وللسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة ؟ قال : كلا والله حتى أوردك جهنم . ألست القائل برُستاقاباد :تغدوا الجدى قبل أن يتعشاكم ؟

ومن خطباء غطفان في الجاهلية« خُوَيْلِدُ بْنُ عَمْرٍو » و «العُشَرَاء بْنُ جَابِر » بن عقيل بن هلال بن سمى بن مازن بن فزارة . وخويلد خطيب يوم الفجار

ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب وأهل البيان« الوضاح بن خيثمة»

ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب والحكام عند أصحاب النفورات « بنو الكواء » واياهم يعنى مسكين بن أنيف الدارمى حين ذكر أهل هذه الطبقة فقال :

كلانا شاعرٌ من حَيّ صِدْقٍ ولكنّ الرّحى فوق الثفالِ

وحكّم دَغْفَلاً وارْحَلْ إليه ولا تُرح المَطِيّ من الكلال

تعالَ إلى بَنِي الكوّاءِ يقضوا بعِلمِهم بأنساب الرّجالِ

تعالَ إلى ابنِ مَذْعُورٍ شِهابٍ يُنبّي بالسّوافِل والعَوالي

وعِندَ الكَيّسِ النّمَرِيّ عِلمٌ ولو أضحَى بِمُنْخَرِقِ الشّمالِ

ومن الخطباء القدماء « كعب بن لؤى » وكان يخطب على العرب عامة، ويحض كنانة خاصة على البر ، فلما مات أكبروا موته ، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب ابن لؤى إلى عام الفيل .

ومن الخطباء الابيناء العلماء الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة « شبيب ابن شيبة » وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور ـ وقد كان المنصور أقام صالحاً فتكلم ـ فقال شبيب : مارأيت كاليوم أبين بياناً ، ولا أجود لساناً ، ولا أربط جناناً ، ولا أبل ريقا ، ولا أحسن طريقاً ،ولا أغمض عروقاً ، من صالح. وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدى أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

يَطْلُبُ شأوَ امرَأينِ قدّما حَسَناً نالا الملوكَ وبَذّا هذه السُّوقا

هُوَ الجوادُ فإنْ يَلْحَقْ بشأوِهما على تَكالِيفِه فمِثْلُهُ لَحِقا

أوْ يَسْبِقاهُ على ما كانَ مِنْ مَهَلٍ فمِثْلُ ماقَدَّما مِنْ صالِحٍ سَبَقا

وخرج شبيب من دار الخلافة يوماً فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً . وقال خالدُ بنُ صفوان : إتقوا مجانيق الضعفاء . يريد الدعاء . وقال شبيب : أطلب الادب ، فانه دليل على المروءة ، وزيادة فى العقل ، وصاحب فى الغربة ، وصلة فى المجلس. وقال شبيب للمهدى يوماً: أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ماأراك فى أبيك .

وقال أبو الحسن : قال زَيد بن على بن الحسين : أطلب ما يعنيك واترك مالا يعنيك ، فان فى ترك مالا يعنيك دَرَكاً لما يعنيك ، وإنما تقدم على ماقدمت، ولست تقدم على ماأخرت ، فآثر ماتلقاه غداً على مالا تراه أبداً . أبو الحسن عن ابرهيم بن سعد قال : قال خالد بن صفوان : ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة ، أو بهيمة مهملة .

أبو الحسن قال : كان « أبو بكر » خطيباً . وكان « عمرُ » خطيباً . وكان « عثمان » خطيباً . وكان « على » خطيباً .

وكان من الخطباء « معاوية » و « يزيد » و « عبد الملك » و « معاوية بن يزيد » و « مروان » و « سليمان » و « يزيد بن الوليد » و « الوليد بن يزيد » و « الوليد بن عبد الملك » و « عمر بن عبد العزيز » .

ومن خطباء بنى هاشم « زيد بن على » و « عبد الله بن حسن » و « عبد الله بن معاوية » خطباء لايجارون .

ومن خطباء النساك والعباد « الحسن بن أبى الحسن البصرى » و « مطرف بن عبد الله الحرشى » و « مؤرّق العجلى » و « بكر بن عبد الله المزنى » و « محمد بن واسع الازدى » و « يزيد بن أبان الرقاشى » و « مالك بن دينار السامى » .

وليس الامر كما قال . فى هؤلاء القاص المجيد ، والواعظ البليغ ، وذو المنطق الوجيز . فأما الخطب فانا لانعلم أحداً يتقدم الحسن البصرى فيها . وهؤلاء وإن لم

يسموا خطباء فان الخطيب لم يكن يشق غبارهم

أبو الحسن قال : حدثني أبو سليمان الحميري قال : كان هشامُ بن عبدالملك يقول: إني لأستصفق العامة الرقيقة أن تكون على أذني اذا كان « عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر » يتكلم ، مخافة أن يسقط عني من حديثه شيء .

ومن الخطباء من بني عبد الله بن غطفان « ابو البلاد» وكان راوية ناسباً

ومنهم « هاشم بن عبد الاعلى » الفزاري

ومن الخطباء « حفص بن معاوية الثلابي » وكان خطيباً ، وهو الذي قال ـ حين أشرك سليمان بن علي بينه وبين مولى له على دارةالقتب ـ « أشركت بيني و بين غير الكَفِيّ ، ووليتني غير السنيّ .

ومن بني هلال بن عامر « زُرعة بن ضمرة » وهو الذي قيل : لولا غلو فيه ما كان كلامه إلا الذهب . وقام عند معاوية بالشام خطيباً فقال معاوية : يا أهل الشام هذا خالي فأتوني بخال مثله .

وكان ابنه « النعمان بن زُرعة » بن ضمرة من أخطب الناس ، وهو أحد من كان تخلص من الحجاج من فل ابن الأشعث بالكلام اللطيف .

قال سحيم بن حفص : ومن الخطباء « عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي » تكلم هو و « عبد الله بن الاهتم » عند عمر بن هبيرة يفضل عاصما عليه . فقال قائل يومئذ : الخل الحامض مالم يكن ماءً .

ومن خطباء بني تميم « عمرو بن الاهتم » وكان يدعى المكحل لجماله، وهوالذي قيل فيه : انما شعره حلل منشرة بين أيدي الملوك تأخذ منه ماشاءت . ولم يكن في بادية العرب في زمانه أخطب منه .

ومن بني منقر « عبد الله بن الاهتم » وكان خطيباً ذا مقامات ووفادات .

ومن الخطباء « صفوان بن عبد الله بن الاهتم » وكان خطيباً رئيساً . وابنه « خالد بن صفوان » وقد وفد إلى هشام وكان من سمار أبي العباس .

ومنهم « عبد الله بن عبد الله بن الاهتم » قد ولي خراسان ووفد على الخلفاء وخطب عند الملوك .

ومن ولده « شبيب بن شيبة » بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم و « عبد الله

ابن عبد الله بن عبدالله بن الاهتم »و « خاقان بن الاهتم » وهو عبد الله بن عبد الله ابن عبد الله بن الاهتم

ومن خطبائهم « محمد الأحول بن خاقان » وكان خطيب بنى تميم ، وقد رأيته وسمعت كلامه

ومن خطبائهم « معمر بن خاقان » وقد وفد

ومن خطبائهم « مؤمل بن خاقان »

وقال أبو الزبير الثقفى : ما رأيت خطيبا من خطباء الامصار أشبه بخطباء البادية من المؤمل بن خاقان

ومن خطبائهم « خاقان بن المؤمل بن خاقان »

وكان «صباح بن خاقان» ذا علم و بيان ومعرفة، وشدة عارضة، وكثرة راوية، مع سخاء واحتمال ، وصبر على الحق، ونصرة للصديق، وقيام بحق الجار

ومن بنى منقر « الحكم بن النضر » وهو « أبو العلاء المنقرى » وكان يصرف لسانه حيث شاء مع جهارة واقتدار

ومن خطباء بنى صريم بن الحارث « المخزرج بن الصَّدى »

ومن خطباء بنى تميم ثم من مقاعس « عمارة بن أبى سليمان»

ومن وُلد مالك بن سعيد « عبد الله » و «خير» ابنا حبيب ، كانا ناشئين عالمين أديبين دينين

ومن وُلد مالك بن سعيد « عبدالله »و « العباس » أبنا رو ية، وكان «العباس» علامة ناسبا راوية . وكان « عبد الله » أرجز الناس وأفصحهم ، ويكنى «أبا الشعثاء » وهو « العجاج »

ومن أصحاب الاخبار والنسب « أبو بكر الصديق »رضي الله عنه ، ثم « جبير ابن مُطعم » ثم « سعيد بن المسيب » ثم « محمد بن سعيد » بن المسيب ، ثم «قتادة » و « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة المسعودى » الذى قال فى كلمة له فى عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه :

فَمِنَّا تُرَابُ الأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا ... وَفِيهِ المَعَادُ والمَصِيرُ إِلَى الحَشْرِ

وَلاَ تَأْنَفَا أَنْ تَرجِعَا فَتُسَلِّمَا ... فَما حُشِيَ الانْسَانُ شَرًّا مِنَ الكِبْرِ

فلَوْ شِئْتُ أُولِى فيكُما غيْرَ واحدٍ عَلانِيَةً أوْ قالَ عِنْـدِى فى سِرِّ
فإنْ أنا لَمْ آمُرْ ولَمْ أنْهَ عَنْكُما ضَحِكْتُ لَهُ حَتى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى

وهو الذى قيل له : كيف تقول الشعر مع النسك والفقه ؟ فقال : إن المصدور لا يملك أن ينفث .

وقد ذكر المصدور أبو زُبيد الطائى فى صفة الاسد فقال :

للصَّدْرِ مِنْهُ عَوِيلٌ فيهِ حَشْرَجَةٌ كأنَّما هُوَ مِنْ أحْشَاءِ مَصْدُورِ

ومن خطباء هذيل « أبو المليح الهذلى » أسامة بن عمير

ومنهم « أبو بكر الهذلى » كان خطيبا قاصاً ، وعالما بينا ، وعالما بالاخبار والآثار ، وهو الذى لما فاخر أهل الكوفة قال : لنا الساج ، والعاج ، والديباج ، والخراج ، والنهر العجاج .

﴿ باب من أسماء الكُهان والحكام والخطباء والعُلماء من قَحْطَان ﴾

قالوا : أكهن العرب وأسجعهم « سلمة بن أبى حية » وهو الذى يقال له « عزى سلمة »

ومنهم ومن خطباء عُمان « مرة بن فهم التليد » وهو الخطيب الذى أوفده المهلب إلى الحجاج

ومن العتيك « بشر بن المغيرة بن أبى صفرة » وهو الذى قال لبنى المهلب : يابنى عمى ، إنى والله قد قصرت عن شكاة العاتب ، وجاوزت شكاة المستعتب ، حتى كانى لست موصولا ولا محروماً ؛ فعدونى امرأ اخفتم لسانه ، أو رجوتم شكره . وإنى وإن قلت هذا فلما أبلانى الله بكم أعظم مما أبلاكم بى .

ومن خطباء اليمن ثم من حمير « الصباح بن شقى الحميرى » كان أخطب العرب

ومنهم ثم من الانصار « قيس بن الشماس » ومنهم « ثابت بن قيس بن الشماس » خطيب النبى ﷺ

ومنهم « روح بن زنباع » وهو الذى لما هم به معاوية قال : لا تشمتن بى عدواً أنت وقمته ، ولا تسوءن بى صديقا أنت سررته ، ولا تهدمن منى ركنا أنت بنيته .

هلا أتى حلمك وإحسانك على جهلى وإساءتى؟

ومن خطبائهم « الأسود الكذاب بن كعب العنسى » وكان « طليحة » خطيبا وشاعرا، وسجاعا كاهنا ناسبا . وكان « مسيلمة الكذاب » بعيدا من ذلك كله

و « ثابت بن قيس بن شماس » هو الذى قال لعامر حين قال : أما والله لئن تعرضت لعنى وفنى ، وذكاء سنى ، لتولين عنى . فقال له ثابت : أما والله لئن تعرضت لسبابى ، وشبا أنيابى ، وسرعة جوابى، لتكرهن جنابى . فقال النبى ﷺ « يكفيك الله وأبناء قيلة »

وأخذت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فأنا أتهمه

ومن خطباء الانصار « بشر بن عمرو بن محصن » وهو أبو عمرة الخطيب

ومن خطباء الانصار « سعد بن الربيع » وهو الذى اعترضت ابنته النبى ﷺ فقال لها : من أنت ؟ فقالت : ابنة الخطيب النقيب الشهيد، سعد بن الربيع .

ومنهم « خال حسان بن ثابت » وفيه يقول حسان :

إِنَّ خالِي خَطِيبُ جابِيَةِ الجَوْ ... لانَ عِنْدَ النُّعْمانِ حَيْثُ يَقُومُ

وإياه يعنى حسان بقوله :

رُبَّ خالٍ لِيَ لَوْ أَبْصَرْتَهُ ... سَبِطَ المِشْيَةِ فِي اليَوْمِ الخَصِرْ

ومنهم من الرواة والنسابين والعلماء « شرقى بن القطامى الكلبى » و « محمد ابن السائب الكلبى » و « عبد الله بن عباس الهمدانى » و « هشام بن محمد بن السائب الكلبى » و « الهيثم بن عدى الطائى » و « أبو روق الهمدانى » واسمه « عطية بن الحارث » و « أبو مخنف لوط بن يحيى الازدى » و « محمد بن عمر الاسلمى الواقدى » و « عوانة الكلبى » و « وابن عيينه المهلبى » و « الخليل بن احمد » الفراهيدى و « خلف بن حيان الاحمر » الاشعرى

قالوا: ومنا فى الجاهلية « عبيد بن شرية » ومنا « شق بن الصعب » ومنا « ربيع بن ربيعة السطيح الذئبى » ومنا « المأمور الحارثى » و « الديان بن عبد المدان الحارثى » الشريفان الكاهنان .

ومنهم « عمرو بن حنظلة بن نهد الحكم » وله يقول القائل :

حَنْظَلَةُ بْنُ نَهْدٍ خَيْرُ نَاسٍ مِنْ مَعَدّ

ومنهم « أبو الشطاح اللخمى » وجمع معاوية بينه وبين دَغفل بن حنظلة البكرى.

ومنهم « ابو الكناس الكندى » ومنهم « أبو مخوس الكندى » وكانا ناسبين عالمين .

ومن أصحاب الأخبار والآثار « عبدالله بن عتبة بن لهيعة » ويكنى أباعبدالرحمن.

ومن القدماء فى الحكمة والخطابة والرياسة « عبيد بن شرية » الجرهمى و « أسقف نجران » و « الكَيْدِرْ » صاحب دومة الجندل و « أفيعى نجران » و « ذرب بن حوط » و « عُليم بن جناب » و « عمرو بن ربيعة » وهو لحى بن حارثة بن عمرو مزيقيا و « جذيمة بن مالك الابرش » وهو أول من أسرج الشمع ، ورمى بالمنجنيق

﴿ باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان ﴾

« عامر بن عبد قيس » و « صلة بن أشيم » و « عثمان بن أدهم » و « صفوان بن محرز » و « الاسود بن كلثوم » و « الربيع بن خيثم » و « عمرو بن عتبة بن فرقد » و « هرم بن حيان » و « مؤرق العجلى » و « بكر بن عبد الله بن الشخير الحرشي »

وبعد هؤلاء « مالك بن دينار » و « حبيب أبو محمد » و « يزيد الرقاشى » و « صالح المرى » و « أبو حازم الاعرج » و « زياد » مولى عياش بن أبى ربيعة و « عبد الواحد بن زياد » و « حيان أبو الاسود » و « دهثم أبو العلاء »

ومن النساء « رابعة القيسية » و « معاذة العدوية » امرأة صلة بن أشيم و « أم الدرداء »

ومن نساء الخوارج « البلجاء » و « غزالة » و « قطام » و « حمادة » و « كحيلة »

ومن نساء الغالية « ليلى الناعطية » و « الصدوف » و « هند »

وممن كان من النساك ممن أدركناه « أبو الوليد » وهو « الحكم الكندى »

و « محمد بن محمد الحمرانى »

ومن القدماء، ممن كان يذكر بالقدر والرياسة ، والبيان ، والخطابة ، والحكمة، والدهاء والنكراء « لقمان بن عاد » و « لقيم بن لقمان » و « مجاشع بن دارم » و« سليط بن كعب » بن يربوع، سموه بذلك لسلاطة لسانه، وقال جرير :

إنَّ سَلِيطاً كاسْمِهِ سَلِيطُ

و« لؤى بن غالب » و « قس بن ساعدة » و « قصى بن كلاب »

ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء « أكثم بن صيفى » و « ربيعة بن حذار » و « هرم بن قطبة » و « وعامر بن الظرب » و « لبيد بن ربيعة »

وكان من الشعراء وأسماء الصوفية من النساك ممن يجيد الكلام « كلاب » و « كليب » و « هاشم الاوقص » و « أبو هاشم الصوفى » و « صالح بن عبد الجليل »

ومن القدماء العلماء بالنسب وبالغريب « الخطفى » وهو جد جرير بن عطية ابن الخطفى ، وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع ، وانما سمى الخطفى لابيات قالها

يَرْفَعْنَ بالليلِ إذا ما أسْدَفَا أعْنَاقَ جِنّانٍ وهاماً رُجَّفَا

وَعَنَقاً باقِى الرَّسِيمِ خَيْطَفَا

العَنق : ضرب من السير ، وهو المسبطرّ ، فاذا ارتفع عن العنق قليلا فهو النزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل . والرسيم فوق الذميل . والخيطف : السريع، أى يخطف كما يخطف البرق ، وخيطف من الخطف ، والياء زائدة فى خيطف ، كما قالوا: رجل صيرف من الصرف ، ورجل جيدر من الجدر ، وهو القِصر ، وأصل الخطف الاخذ فى سرعة ، ثم استعير لكل سريع

﴿ ذكر القصاص ﴾

قص « الاسود بن سريع » وهو الذى قال :

فإنْ تَنْجُ مِنها تَنْجُ مِنْ ذِى عَظِيمَةٍ وإلاّ فإنّى لا إخالُكَ ناجِيَا

وقص « الحسن » و « سعيد » بن أبى الحسن

وكان « جعفر بن الحسن » أول من اتخذ فى مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن فيها [وقص « ابرهيم التيمى »

وقص « عبيد الله بن عمير الليثى » وجلس اليه « عبد الله بن عمر » حدثنى بذلك « عمرو بن فائد » باسناد له

ومن القصاص « أبو بكر الهذلى » وهو « عبدالله بن أبى سليمان » وكان خطيبا بينا ،صاحب أخبار وآثار

وقص ابنه « مطرف بن عبد الله » بن الشخير فى مكان أبيه

ومن كبار القصاص ثم من هذيل « مسلم بن جندب » وكان قاص مسجد النبى ﷺ بالمدينة،وكان امامهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز : من سره أن يسمع القرآن غضا فليسمع قراءة مسلم بن جندب

ومن القصاص « عبد الله بن عرادة » بن عبد الله بن الوضين ، وله مسجد فى بنى شيبان .

ومن القصاص « موسى الاسوارى » وكان من أعاجيب الدنيا،كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه،والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدرى بأى لسان هو أبين . واللغتان اذا التقتا فى اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها، إلا ما ذكروا من لسان « موسى بن سيار الاسوارى » ولم يكن فى هذه الامة بعد « أبى موسى الاشعرى » أقرأ فى محراب من « موسى بن سيار »

ثم « عثمان بن سعيد بن أسعد »

ثم «يونس النحوى» ثم «المعلى»

ثم قص فى مسجده « أبو على الاسوارى » وهو «عمرو بن فائد »ستا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات ، لانه كان حافظا للسير ولوجوه التأويلات ، فكان ربما يفسر آية واحدة فى عدة أسابيع ، كأن الآية ذكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق فى ذلك من الاحاديث الكثيرة، وكان يقص فى فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك. وكان « يونس بن حبيب » يسمع منه كلام العرب ويحتج به ، وخصاله المحمودة كثيرة .

ثم قص من بعده « القاسم بن يحيى » وهو « أبو العباس الضرير » لم يدرك فى القصاص مثله

وكان يقص معهما و بعدهما « مالك بن عبد الحميد المكفوف » ويزعمون أن « أبا على » لم يسمع منه كلمة غيبة قط ، ولا عارض أحدا من المخالفين والحساد والبغاة بشيء من المكافأة

فاما « صالح المرى » فانه كان يكنى «أبا بشر» وكان صحيح الكلام ، رقيق المجلس ، فذكر أصحابنا أن « سفيان بن حبيب » لما دخل البصرة وتوارى عند « مرحوم العطار » قال له مرحوم : هل لك أن تأتى قاصا عندنا فتتفرج بالخروج والنظر الى الناس والاستماع منه ؟ فاتاه على تكره كانه ظنه كبعض من يبلغه شأنه ، فلما أتاه وسمع منطقه ، وسمع تلاوته للقرآن ، وسمعه يقول : حدثنا سعيد عن قتادة، وحدثنا قتادة عن الحسن، رأى بيانا لم يحتسبه ، ومذهبا لم يكن يدانيه ، فاقبل سفيان على مرحوم فقال : هذا ليس قاصا هذا نذير !

﴿ باب ماقيل في المَخاصر والعِصِيّ وغيرهما ﴾

كانت العرب تخطب بالمخاصر ، وتعتمد على الأرض بالقسىّ ، وتشير بالعصي والقنا، نعم حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدى الملوك فى مجالسها ، ولذلك قال الشاعر:

فِى كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ ... بِكَفِّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمُ ... وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاحَتِ الكَلِمُ

يكادُ يُمسكُهُ عرفانُ راحتِهِ ... رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
كمْ هاتفٍ لكَ مِنْ داعٍ وداعيةٍ ... يدعُونَ ياقُثمَ الخيراتِ ياقُثمُ

وقال الشاعر قولا فسر فيه ما قلنا قال :

مجالسُهُم خفضُ الحديثِ وقولُهم ... إذا ماقضَوْا في الأمرِ وحيُ المخاصرِ

وقال الكميت بن زيد :

ونَزُورُ مَسْلَمةَ المُهَذَّ ... بَ بالمؤيَّدةِ السَّرائِرْ
بالمُذْهباتِ المُعْجَبا ... تِ لمُفْحَمٍ منّا وشاعِرْ
أهْلِ انتجاوُبِ والمَحا ... فِلِ والمقاوِلِ بالمَخاصِرْ
فهُمُ كذلكَ في المَجا ... لِسِ والمَحافِلِ والمَشاعِرْ

وكما قال الانصارى فى المجامع حيث يقول :

وسارَتْ بِنا سَيّارَةٌ ذاتُ سُورَةٍ ... بِكُومِ المَطايا والخيولِ الجماهرِ
يؤُمُّونَ ملكَ الشّامِ حتّى تمكّنُوا ... مُلُوكاً بأرْضِ الشّامِ فَوْقَ المَنابِرِ
يُصيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ في كُلِّ خُطْبَةٍ ... إذا وَصَلُوا أيْمانَهُمْ بالمَخاصِرِ

وفى المخاصر والعصي ، وفى خد وجه الارض باطراف القسى ، قال الحطيئة :

أمْ مَنْ لخِصْمٍ مُضْجِعِينَ قسِيَّهُمْ ... صُعْرٍ خُدُودُهُمُ عِظامِ المَفْخَرِ

وقال لبيد بن ربيعة فى الاشارة :

غُلْبٌ تَشَذَّرُ بالدُّخُولِ كأنَّها ... جِنُّ البَدِيِّ رَواسِياً أقْدامُها

وقال فى خدّ وجه الارض بالعصى والقسي :

يَشِينَ صِحَاحَ البِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... بِعُوجِ السَّراءِ عِنْدَ بابٍ مُحَجَّبِ

عوج : جمع عوجاء،وهى هاهنا القوس . والسراء:شجر يعمل منه القوس : وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقْتَسَمَ النَّاسُ فَضْلَ الفَخارِ ... أطَلْنا عَلَى الأرْضِ مَيْلَ العَصا

وقال الآخر .

كَتَبَتْ لَنَا فِي الأَرْضِ يَوْمَ مُحَرِّقٍ ... أَيَّامُنَا فِي الأَرْضِ يَوْماً فَيْصَلا

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسى :

مَا إِنْ أُهَابُ إِذَا السُّرَادِقُ عَمَّهُ ... قَرْعُ القِسِيِّ وَأُرْعِشَ الرِّعْدِيدُ

وقال معن بن أوس المزنى :

أَلِا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى رَسُولاً ... عُبَيْدَ اللهِ إِذْ عَجِلَ الرِّسالا

تَغَافَلُ دُونَنَا أَبْنَاءَ نَوْرٍ ... وَنَحْنُ الأَكْثَرُونَ حَصًى وَمَالا

إِذَا اجْتَمَعَ القَبَائِلُ جِئْتَ رِدْفاً ... أَمَامَ المَاسِحِينَ لَكَ السِّبَالا

فَلَا تُعْطَى عَصَا الخُطَبَاءِ فِيهِمْ ... وَقَدْ تُكْفَى المَقَادَةَ وَالمَقَالا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله :

إِلَى امْرِئٍ لَا تَخَطَّاهُ الرِّقَابُ وَلَا ... حُدْبُ الحَوَانِ إِذَا مَا اسْتُنْشِئَ العَرَقُ

صُلْبُ الحَيَازِيمِ لَا هَذْرُ الكَلَامِ إِذَا ... هَزَّ القَنَاةَ وَلَا مُسْتَعْجِلٌ زَهِقُ

وكما قال جرير الخطفى :

مَنْ لِلْقَنَاةِ إِذَا مَا عَنَّ قَائِلُهَا ... أَمْ لِلْأَعِنَّةِ يَا شِيبُ بْنَ عَمَّارِ

قال : ومثل هذا قول « أبى المجيب الربعى » : ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة، فعند ذلك يفضحك أو يسرك . يقول : اذا قام يخطب . وفى كتاب جبل بن يزيد : احفظ أخاك الا من نفسه . وقال عبد الله بن رؤبة : سأل رجل رؤبة عن أخطب بنى تميم، فقال. « خداش بن بشر بن لبيد » (١) ـ يعنى البعيث ـ وانما قيل له « البعيث » لقوله :

تُبَعِّثُ مِنِّى مَا تُبَعِّثُ بَعْدَ مَا ... أُمِرَّتْ حِبَالَى كُلَّ مِرَّتِهَا شَزَرَا (٢)

---

(١) كان فى الاصل خداش بن لبيد بن بيابة ، وهذا غلط والصواب ما أثبتناه « انظر صفحة ٥٢ »

(٢) البعيث : نقل صاحب المزهر عن وشاح ابن دريد أن البيت هكذا :

وزعم سحيم بن حفص أنه كان يقال : أخطب بنى تميم البعيث إذا أخذ القناة.
وقال يونس : لعمرى لئن كان مُغلباً فى الشعر لقد كان غالب فى الخطب .
ومن الشعراء من يغلب شيء قاله فى شعره على اسمه وكنيته فيسمى به (وهم) كثير
فمنهم « البعيث » هذا
ومنهم عوف بن حُصن(١) بن حذيفة بن بدر غلب عليه « عويف القوافى » لقوله :

سأكذبُ مَنْ قد كانَ يزعمُ أنني إذا قُلْتُ شِعْراً لا أُجيدُ القوافيا

فسمى « عويف القوافى » :
ومنهم « يزيد بن ضرار » التغلبي غلب عليه « المزرد » لقوله :

فقُلْتُ نَزَرِّدْهَا عُبَيْدُ فإنَّنى لِدُرْدِ المَوالِي في السِّنِينِ مُزَرِّدُ

فسمى « المزرد »
ومنهم « عمرو بن سعيد » بن مالك غلب عليه « المرقّش » وذلك لقوله :

الدَّارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كما رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الأَدِيمِ قَلَمْ

فسمى « مرقشا »
ومنهم « شماس بن نهار العبدى » غلب عليه « الممزق » لقوله:

فإنْ كُنْتُ مأكُولاً فكُنْ خيرَ آكِلٍ وإلاَّ فأدْرِكْنِي ولمَّا أُمزَّقِ

فسمى « الممزق »
ومنهم « جرير بن عبد المسيح » الضبعى غلب عليه « المتلمس » لقوله :

فهذا أوانُ العرْضِ طَنَّ ذُبابهُ زَنابيرهُ والأَزْرَقُ المتَلَمِّسُ

ومنهم « عمرو بن رياح » بن عمرو السلمى أبو خنساء بنت عمرو، غلب « الشريد »

تبعث منى ما تبعث بعدما أمرت قواى واستتم غريمى

(١) عوف بن حصن : كان فى الاصل: عوف بن حصين وهو خطأ صوابه ما اثبتناه . وهو عوف بن معاوية بن عقبة بن عيينه بن حصن الفزارى . شاعر فحل من شعراء الدولة الاموية، ومن ساكنى الكوفة . وهو من أحد بيوت العرب.
المقدمة الفاخرة

على اسمه لقوله:

تَوَلَّى إِخْوَتِي وَبَقِيتُ فَرْداً وَحِيداً فِي دِيارِهِمِ شَرِيداً

فسمى « الشريد » وهذا كثير .

ودخل رجل من قيس عيلان على عبد الملك بن مروان فقال : زبيرى عميرى والله لا يحبك قلبي أبدا . قال : يا أمير المؤمنين إنما يجزع من فقدان الحب المرأة ولكن عدل وانصاف .

قال عمر لابى مريم الحنفى السلولى قاتل زيد بن الخطاب : لا يحبك قلبي أبدا، حتى تحب الارض الدم المسفوح .

وهذا مثل قول الحجاج : والله لاقلعنك قلع الصمغة . لان الصمغة اليابسة اذا فرقت عن الشجرة انقلعت انقلاع الجلبة . والارض لا تنشف الدم المسفوح ولا تمصه ، فمتى جف الدم وتجلب لم تره أخذ من الارض شيئا

ومن الخطباء « الغضبان بن القَبَعْثَرَى » وكان محبوسا فى سجن الحجاج ، فدعا به يوما فلما رآه قال : إنك لسمين ؟ قال : القيد والرتعة، ومن يكن ضيفا للامير يسمن

وقال يزيد بن عياض : لما نقم الناس على عثمان خرج يتوكأ على مروان وهو يقول : لكل أمة آفة ، ولكل نعمة عاهة ، وان آفة هذه الامة عيابون طعانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون ،طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق. لقد نقموا على ما نقموه على عمر ، ولكن قمعهم ووقمهم ، والله إنى لاقرب ناصرا وأعز نفرا ، فضل فضل من مالى فمالى لا أفعل فى الفضل ماشاء ؟

ورأيت الناس يتداولون رسالة « يحيي بن يعمر » على لسان « يزيد بن المهلب » « إنا لقينا العدو فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ، ولحقت طائفة بعرائر الاودية وأهضام الغيطان ، وبتنا بعرعرة الجبل، وبات العدو بحضيضه . فقال الحجاج : ما يزيد بابى عذرة هذا الكلام ؟ فقيل له : ان معه يحيي بن يعمر . فحمل اليه فلما أتاه قال : أين ولدت ؟ قال : بالاهواز . قال :فأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال:أخذتها عن أبى

عرائر الاودية : أسافلها . وعراعر الجبال: أعاليها. وأهضام الغيطان:مداخلها . والغيطان : جمع غائط ، وهو الحائط ذو الشجر

ورأيتهم يديرون فى كتبهم ان امرأة خاصمت زوجها الى يحيي بن يعمر فانتهرها

مرارا ، فقال له يحيى : إن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها ؟

قالوا :الضهل القليل . والشكر : الجماع . والشبر: البضع. تطلها : تذهب بحقها ، يقال دم مطلول . و يقال بئر ضهول أى قليلة الماء

فان كانوا إنما رووا هذا الكلام لانه يدل على فصاحة ، فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ، وان كانوا انما دونوه فى الكتب وتذاكروه فى المجالس لانه غريب فابيات من شعر العجاج ، أو شعر الطرماح ، أو أشعار هذيل ، تأتى لهم مع حسن الوصف على أكثر مما ذكروا . ولو خاطب بقوله : إن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها . الأصمعى لظننت أنه سيجهل بعض ذلك ، فهذا ليس من اخلاق الكتاب ولا من آدابهم

أبو الحسن : كان غلام يقعر فى كلامه فأتى أبا الاسود الدؤلى يلتمس بعض ما عنده فقال له أبو الاسود: ما فعل أبوك ؟ قال : أخذته الحمى فطبخته طبخا ، وفتخته فتخا ، وفضخته فضخا ، فتركته فرخا .

فتخته: أضعفته ، والفتيخ: الرخو الضعيف . وفضخته: دقته

فقال أبو الاسود : فما فعلت أمرأته التى كانت تشاره وتماره وتهاره وتزاره ؟

قال : طلقها وتزوجت غيره، فرضيت ، وحظيت،و بظيت. قال أبو الاسود : قد علمنا رضيت وحظيت ، فما بظيت ؟ قال : بظيت ، حرف من الغريب لم يبلغك . قال أبو الاسود : يا بنى كل كلمة لا يعرفها عمك فاسترها كما تستر السنور خرؤها

قال ابو الحسن : مر « أبوعلقمةالنحوى » ببعض طرق البصرة وهاجت به مرة فوثب عليه قوم منهم فاقبلوا يعضون ابهامه ، و يؤذنون فى اذنه ، فأفلت من أيديهم فقال : ما لكم تتكأكأون على كانكم تتكأكأون على ذى جنة ؟ افرنقعوا عنى . قالوا : دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية . وقال أبو الحسن : هاج بأبى علقمة الدم فأتى بحجام فقال للحجام : اشدد قصب الملازم ، وأرهف ظبات المشارط ، وأسرع الوضع ، وعجل النزع ، وليكن شرطك وخزا ، ومصك نهزا ، ولا تكرهن أبيا ، ولا تردن أتيا . فوضع الحجام محاجمه فى جوانبه وانصرف

فحديث أبى علقمة فيه غريب ، وفيه أنه لو كان حجاما مرة مازاد على ماقال. وليس فى كلام يحيى بن يعمر شيء من الدنيا الا أنه غريب ،وهو أيضا من الغريب

بغيض

وذكروا عن محمد بن اسحق قال : لما جاء ابن الزبير ـ وهو بمكة ـ قتل مروان الضحاك بمرج راهط قام فينا خطيبا فقال : ان ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة فأخطأت أسته الحفرة ، والهف أم لم تلدنى على رجل من محارب كان يرعى فى جبال مكة فيأتى بالشربة من اللبن فيبيعها بالقبضة من الدقيق فيرى ذلك سدادا من عيش ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوة؟

وأول هذا الكلام مستكره ، وهو موجود فى كل كتاب ، وجار على لسان كل صاحب خبر ، وقد سمعت لابن الزبير كلاما كثيرا ليس هذا فى سبيله ولا يتعلق به

وقال أبو يعقوب الاعور السلمى:

وخَلْجَةِ ظَنٍّ يَسْبِقُ الطَّرْفَ حَزْمُهَا ... تَشِيفُ على غَيْمٍ وتُمْكِنُ مِنْ رَحْلِ

صَدَعْتُ بِهَا والقَوْمُ فَوْضَى كأَنَّهُمْ ... بَكَارَةُ مِرْباعٍ تُبَضِّعُ لِلْفَحْلِ

خلجة ظن : أى ظن سريع . تشيف : تشرف . بكارة مرباع : أى نوق صغار قد أذلت للفحل ، مرباع : أى نوق ربيع ، والمرباع : ربع الغنيمة فى الجاهلية لصاحب الجيش . قال ابن عثمة :

لَكَ المِرْبَاعُ مِنْهَا والصَّفَايَا ... وَحُكْمُكَ والنَّشِيطَةُ والفُضُولُ

وقال رجل من بنى يربوع :

إِلَى اللهِ أَشْكُو ثُمَّ أَشْكُو إِلَيْكُمَا ... وهل تَنْفَعُ الشَّكْوَى إِلى مَنْ يَزِيدُهَا؟

حَزَازَاتِ حُبٍّ فِي الفُؤَادِ وعَبْرَةٍ ... أَظَلُّ بِأَطْرَافِ البَنَانِ أَذُودُهَا

يَحِنُّ فُؤَادِى مِنْ مَخَافَةِ بَيْنِكُمْ ... حَنِينَ المُزَجَّى وِجْهَةً لا يُرِيدُهَا

وقد أحسن الآخر حيث يقول :

وأُكْرِمُ نَفْسِي عَنْ مَنَاكِحَ جَمَّةٍ ... ويَقْصُرُ مَالِي أَنْ أَنَالَ الغَوَالِيَا

وقال الآخر :

واذا العَبْدُ أَغْلَقَ البَابَ دُونِي ... لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيَّ مَتْنُ الطَّرِيقِ

وقال الخليع العطاردى : كنا بالبادية إذ نشأ عارض ، وما فى السماء قزعة معلقة، وجاء السيل فاكتسح أبياتاً من بنى سعد فقلت :

فَرِحْنَا بِوَسْمِيٍّ تَأَلَّقَ وَدْقُهُ ... عِشَاءً فَأَبْكَانَا صَبَاحاً فَأَسْرَعَا

لَهُ ظُلَّةٌ كَأَنَّ رَيِّقَ وَبْلِهَا ... عَجَاجَةُ صَيْفٍ أَوْ دُخَانٌ تَرَفَّعَا

فَكَانَ عَلَى قَوْمٍ سَلَاماً وَنِعْمَةً ... وَأَلْحَقَ عاداً آخَرِينَ وَتُبَّعَا

وقال أبو عطاء السندى لعبيد الله بن عباس الكندى :

إِلَى مَعْشَرٍ أَرْدَوا أَخَاكَ وَكَفَّرُوا ... أَبَاكَ فَمَاذَا بَعْدَ ذَاكَ تَقُولُ

وَقُلْ لِعُبَيْدِ اللهِ : لَوْ كَانَ جَعْفَرٌ ... هُوَ الْحَيَّ لَمْ يَبْرَحْ وَأَنْتَ قَتِيلُ

فقال عبيد الله : أقول ، عض أبو عطاء ببظر أمه. فغلب عليه .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير فى أبى رهم السدوسى ـ وكان يلى الاعمال لأبى جعفر :

رَأَيْتُ أَبَارَهْمٍ يُقَرِّبُ مُنْجِحاً ... غُلَامَ أَبِي بِشْرٍ وَيَجْفُو أَبَا بِشْرِ

فَقُلْتُ لِيَحْيَى : كَيْفَ قَرَّبَ مُنْجِحاً ؟ ... فَقَالَ : لَهُ أَيْرٌ يَزِيدُ عَلَى شِبْرِ

قال أبو عثمان : وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب المخصرة فى خطبها ، والقنا والقضيب ، والاتكاء والاعتماد على القوس ، والخد فى الارض ، والاشارة بالقضيب بكلام مستكره نذكره إن شاء الله تعالى فى الجزء الثالث .

ولا بد من أن نذكر فيه بعض كلام معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، وابن الزبير ، وسليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، لان الباقين من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذى يلحق بالخطب و بصناعة المنطق إلا اليسير .

ولا بد من أن نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منثور غير مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع ، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج .

ولا بد من أن يكون فيه ذكر شأن إسماعيل على نبينا وعليه السلام وانقلاب

لغته و بيانه بعد أربع عشرة سنة ، وكيف نسى لغته التى رُبى فيها وجرى على أعراقها ، وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية عن غير تلقين ولا ترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ولا لكنة ولا حُبسة ، ولا تعلق بلسانه شيء من تلك العادة .

ولا بد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه و بعض ما يحضرنى من كلام آبائه وجلة رهطة .

ولا بد أيضاً من ذكر من صعدا لمنبر فحصر وخلط ، أو قال فأحسن ، ليكون الكتاب أكمل إن شاء الله تعالى .

ولا بد من ذكر المنابر ولم اتخذت ، وكيف كانت الخطباء من العرب فى الجاهلية وفى صدور الاسلام . وهل كانت المنابر لأمة غير أمتنا ؟ وكيف كانت الحال فى ذلك؟

وقد ذكرنا أن الامم التى فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم أربع ، وهى: العرب ، والهند ، وفارس ، والروم .

وقال حكيم بن عياش الكلبي :

أَلَمْ يَكُ مُلْكُ أَرْضِ اللهِ طُرًّا ... لِأَرْبَعَةٍ لَهُ مُتَمَيِّزِينَا ؟

لِحِمْيَرَ وَالنَّجَاشِيِّ وَابْنِ كِسْرَى ... وَقَيْصَرَ غَيْرَ قَوْلِ الْمُبْتَرِينَا

فما أدرى بأى سبب وضع الحبشة فى هذا الموضع ، وأما ذكره لحمير فان كان إنما ذهب إلى تتبّع نفسه فى الملوك فهذا له وجه ، وأما النجاشى فليس هو عند الملوك فى هذا المكان ، ولو كان النجاشى فى نفسه فوق تبع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبش فى هذا الموضع ، وهو لم يفضل النجاشىّ لمكان إسلامه؟ يدل على ذلك تفضيله لكسرى وقيصر ، وكان وضعُ كلامه على ذكر الممالك ثم ترك الممالك وأخذ فى ذكر الملوك

والدليل على أن العرب أنطق ، وأن لغتها أوسع ، وأن لفظها أدل ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والامثال التى ضربت أجود وأسير .

والدليل على أن البديهة مقصورة عليها ، وأن الارتجال والاقتضاب خاص فيها. وما الفرق بين أشعارهم و بين الكلام الذى تسميه الفرس والروم شعرا ؟ وكيف صار

النسيب فى أشعارهم وفى كلامهم الذى أدخلوه فى غنائهم وفى ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم ؟ وهذا لا يصاب فى العرب إلا القليل اليسير . وكيف صارت العرب تقطع الالحان الموزونة، على الاشعار الموزونة ، فتضع موزوناً على موزون ، والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل فى وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون ؟

وسنذكر فى الجزء الثانى من أبواب اللحن والعى والغلط والغفلة أبواباً ظريفة ، ونذكر فيه النوكى من الوجوه ، ومجانين العرب ، ومن ضرب به المثل منهم ، ونوادر من كلامهم ، ومجانين الشعراء، لست أعنى مثل «مجنون بنى عامر» «ومجنون بنى جعدة» وإنما أعنى مثل «أبى حية» فى أهل البادية، ومثل «جعيفران» فى أهل الامصار، ومثل «أرسيموس» اليونانى ،

وسنذكر أيضاً بقية أسماء الخطباء والنساك، وأسماء الظرفاء والملحاء، ان شاء الله سبحانه وتعالى .

وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ما أمكننا في بقية هذا الجزء إن شاء الله تعالى

وقال أبو الحسن المدائنى : قال الحجاج لأنس بن مالك حين دخل عليه فى شأن ابنه عبد الله ، وكان خرج مع ابن الاشعث : لا مرحباً بك ولا أهلا ، لعنة الله عليك من شيخ جوّال فى الفتنة ، مرة مع أبى تراب، ومرة مع ابن الاشعث، والله لأقلعنك قلع الصمغة ، ولأعصبنك عصب السلمة ، ولأجردنك تجريد الضب . قال أنس : مَن يعنى الامير أبقاه الله ؟ قال : إياك أعنى ، أصم الله صداك . قال: فكتب أنس بذلك الى عبد الملك فكتب عبدُ الملك إلى الحجاج : بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب ، والله لقد هممتُ أن أركلك برجلى رَكلة تهوى بها فى نار جهنم ، قاتلك الله أخيفش العينين ، أصك الرجلين ، أسود الجاعرتين ، والسلام .

وكان الحجاج أخيفش مسلق الاجفان ، ولذلك قال إمام بن أرقم النميرى ، وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال :

طَلِيقُ اللهِ لَمْ يَمْنُنْ عَلَيْهِ ... أَبُو داوُدَ وابْنُ أَبِي كَثِيرِ

ولا الحَجَّاجُ عَيْنَىْ بِنْتِ ماءٍ ... تُقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصقورِ

لان طير الماء لا يكون أبداً إلا منساق الاجفان . والخفش دون العمش . والعصب أن تعصب الشجرة ذات الشوك بالعصاب . وأصك الرجلين تصك احداهما الاخرى

وخطب الحجاج يوماً فقال فى خطبته : والله مابقى من الدنيا إلا مثل مامضى، ولهو أشبه به من الماء بالماء ، والله ماأحب أن مامضى من الدنيا لى بعمامتى هذه .

المفضل بن محمد الضبي قال : كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم أن ابعث إلى بالآدم الجعدى الذى يفهمنى و يفهم عنى . فبعث إليه غدام بن شتير . فقال الحجاج: لله دره ، ما كتبت إليه فى أمر قط إلا فهم عنى وعرف ماأريد .

قال أبو الحسن وغيره : أراد الحجاج الحج فخطب الناس فقال : أيها الناس ، إنى أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابنى محمداً هذا ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ فى الانصار ، إن رسول الله ﷺ أوصى أن يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم ، ألا و إنى قد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا و إنكم ستقولون بعدى مقالة مايمنعكم من إظهارها إلا مخافتى ، ألا و إنكم ستقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة ، ألا و إنى معجل لكم الاجابة : لا أحسن الله الخلافة عليكم . ثم نزل

وكان يقول فى خطبته : أيها الناس ، إن الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

وقال عمرو بن عبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها : إن الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسن بنعمة الله عليه، ومسىء بخذلان الله إياه ، ولله النعمة على المحسن والحجة على المسيء ، فما أولى من تمت عليه النعمة فى نفسه ورأى العبرة فى غيره بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطى ماعليه منها ولا يتكثر بما ليس له منها ، فان الدنيا دار فناء ولا سبيل الى بقائها ، ولا بد من لقاء الله. فأحذركم الله الذى حذّركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة قبل أن تصيروا إلى الدار التى صاروا إليها ، فلا تقدرون على توبة، وليس لكم منها أوبة، وأنا استخلف الله عليكم واستخلفه منكم .

وقد رُوى هذا الكلام عن الحجاج ، وزيادٌ أحق به منه

﴿ باب ما ذكروا فيه من أن أثر السيف بمحو أثر الكلام ﴾

قال جرير:

يُكَلِّفُنِي رَدَّ الْعَوَاقِبِ بَعْدَ مَا سَبَقْنَ كَسَبْقِ السَّيْفِ مَا قَالَ عَاذِلُهْ

وقال الكميت بن معروف :

خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمُ الْعَقْلَ قَوْمُكُمْ وَكُونُوا كَمَنْ سِيمَ الْهَوَانَ فَأَرْبَعَا

وَلَا تُكْثِرُوا فِيهِ الضِّجَاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا

والمثل السائر من قبل هذا : سبق السيف العذل .

ومن أهل الادب « زكريا بن درهم » مولى بنى سليم بن منصور صاحب سعيد ابن عمرو الحرشى ، وزكريا هو الذى يقول :

لا تُنْكِرُوا لِسَعِيدٍ فَضْلَ نِعْمَتِهِ لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَا

ومن أهل الادب ممن وجهه هشام الى الحرشي « السرادق بن عبد الله السدوسى» الفارسى ، ولما ظفر سلم بن قتيبة بالازد كان من الجند فى دور الازد انتهاب وإحراق وآثار قبيحة فقام شبيب بن شيبة الى سلم بن قتيبة فقال : أيها الامير ، إن هريم بن عدى بن أبى طلحة ـ وكان غير منطيق ـ قال ليزيد بن عبد الملك فى شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إنا والله ما رأينا أحداً ظلم ظلمك ، ولا نصر نصرك ، فافعل الثالثة نقلها .

قال الهيثم بن عدى : قام « عبد الله بن الحجاج » التغلبي الى عبد الملك بن مروان ، وقد كان أراد الاتصال به ، وقد كان عبدُ الملك حنقا عليه ، فأقام ببابه حولا لا يصل ثم ثار فى وجهه فى بعض ركباته فقال :

أَدْنُو لِتَرْحَمَنِي وَتَرْتُقَ خَلَّتِي وَأَرَاكَ تَدْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ

فقال عبد الملك: الى النار . فقال :

وَلَقَدْ أَذَقْتَ بَنِي سَعِيدٍ حَرَّهَا وَابْنَ الزُّبَيْرِ فَرَأْسُهُ مُتَضَعْضِعُ

فقال عبد الملك : قد كان بعض ذاك ، وأنا أستغفر الله

وقال أبو عبيدة: كان بين الحجاج وبين « العُدَيْلِ بنِ فَرْخ »العجلى بعض الامر فتوعده الحجاج بالقتل فقال العديل :

أَخَوِّفُ بِالْحَجَّاجِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يُحَرِّكُ عَظْمٌ فِى الْفُؤَادِ مَهِيضُ

وَدُونَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَنِى ... بِسَاطٌ لِأَيْدِى الْيَعْمَلَاتِ عَرِيضُ

مَهَامِهُ أَشْبَاهٌ كَأَنَّ سَرَابَهَا ... مُلَاءٌ بِأَيْدِى الْغَاسِلَاتِ رَحِيضُ

ثم ظفر به الحجاج فقال له : ياعديل ، هل نجاك بساطك العريض ؟ فقال: أيها الامير ، أنا الذى أقول فيك :

وَلَوْ كُنْتُ بِالْعَنْقَاءِ أَوْ بِأَسُومِهَا ... لَكَانَ لِحَجَّاجٍ عَلَىَّ دَلِيلُ

خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفُهُ ... لِكُلِّ إِمَامٍ مُصْطَفًى وَخَلِيلُ

بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ

فقال له الحجاج : اربح نفسك ، واحقن دمك ، وإياك واختها ، فقد كان الذى بينى وبين قتلك أقصر من إبهام الحبارى .

قال أبو الحسن : وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان خطيباً بالمدينة ، وكان واليها، ينعى معاوية ويدعو الى بيعة يزيد ، فلما رأى روحُ بنُ زنباع إبطاءهم قال : أيها الناس ، إنا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب ، ولكنا ندعوكم إلى قريش ، ومن جعل الله له هذا الامر واختصه به ، وهو يزيد بن معاوية ، ونحن أبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت ، وعندنا إن أجبتم وأطعتم من المعونة والفائدة ماشئتم . فبايع الناس

قال: وخطب ابرهيم بن اسماعيل من ولد المغيرة المخزومى فقال :

أَنَا ابْنُ الْوَغَى مَنْ شَاءَ أَحْرَزَ نَفْسَهُ ... (صَقْراً يَلُوذُ حَمَامُهُ بِالْعَرْفَجِ)

ثم قال :

اسْتَوْنِقِى أَحْمِرَةَ الْوَجِينِ ... سَمِعْنَ حِسَّ أَسَدٍ حَرُونِ

فَهُنَّ يَضْرِطْنَ وَيَنْتَزِين

ثم قال : والله إنى لابغض القرشى أن يكون فظا ، ياعجباً لقوم يقال لهم : من أبوكم ؟ فيقولون : أمنا من قريش . فتكلم رجل من عرض الناس وهو يخطب، فقال له غيره : صه ، فان الامام يخطب . فقال : إنما أمرنا بالانصات عند قراءة القرآن، لا عند ضراط أحمرة الوجين ؟

وقال آخر : سمعت « ابن هبيرة » على هذه الأعواد وهو يقول فى دعائه : اللهم انى أعوذ بك من عدوّ يسرى ، ومن جليس يفرى ، ومن صديق يطرى .

قال أبو الحسن : كان « نافع بن علقمة » بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان واليا على مكة والمدينة ، وكان شاهراً سيفه لايغمده ، وبلغه أن فتى من بنى سهم يذكره بكل قبيح ، فلما أتى به وأمر بضرب عنقه قال له الفتى : لاتعجل علىّ ، ودعنى أتكلم . قال : أو بك كلام ؟ قال : نعم، وأزيد : يانافع ، وُليت الحرمين تحكم فى دمائنا وأموالنا ، وعندك أربع عقائل من العرب ، وبنيت ياقوتة بين الصفا والمروة ـ يعنى داره ـ وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث، أحسن الناس وجهاً وأكرمهم حسبا ، وليس لنا من ذلك إلا التراب ، فلم نحسدك على شىء منه ولم ننفسه عليك ، ونفست علينا أن نتكلم ؟ فقال : تكلم حتى ينفك فكاك .

على بن مجاهد عن جعد بن أبى الجعد ، قال صعصعة بن صوحان : ما أعيانى جواب أحد ما أعيانى جواب عثمان ، دخلت عليه فقلت له : أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله . قال : نحن الذين أخرجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربنا الله ، فمنا من مات بأرض الحبشة ومنا من مات بالمدينة ؟

وقال الحجاج على منبره: والله لأحوننكم حو العصا ، ولاعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل . ياأهل العراق ، ياأهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الاخلاق ، إنى سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب ، ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب ، وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف فتنة . أى بنى اللكيعة، وعبيد العصا ، وبنى الاماء ، والله لئن قرعت عصا لأتركنكم كامس الدابر .

مالك بن دينار قال : ربما سمعت الحجاج يخطب ويذكر ماصنع به أهل

العراق وما صنع بهم ، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه ، وأنه صادق ، لبيانه وحسن تخلصه بالحجج .

وقسم الحجاج مالا ، فأعطى منه مالكَ بنَ دينار فقبل ، وأراد أن يدفع منه إلى حبيب أبي محمد فأبى أن يقبل منه شيئاً . ثم مر حبيب بمالك وإذا هو يقسم ذلك المال ، فقال له مالك : أبا محمد ، لهذا قبلناه . فقال له حبيب : دعني مما هناك ، أسألك بالله : الحجاج اليوم أحب اليك أم قبل اليوم ؟ قال : بل اليوم . فقال حبيب : فلا خير في شيء حبب اليك الحجاج .

ومر « غَيْلَانُ بنُ خَرَشَةَ » الضَّبِّيّ مع « عبدالله بن عامر » على نهر عبدالله الذي يشق البصرة ، فقال عبد الله : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر ؟ فقال غيلان : أجل أيها الامير ، يعلم القوم فيه صبيانهم السباحة ، ويكون لشفاههم ومسيل مياههم ، وتأتيهم فيه ميرتهم . قالوا : ثم مر غيلان يساير زياداً على ذلك النهر ، وكان قد عادى ابن عامر ، فقال زياد : ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر ؟ فقال غيلان : أجل والله أيها الامير ، تنزمنه دُروهم ، ويغرق فيه صبيانهم ، ومن أجله تكثر بعوضهم .

فالذين كرهوا البيان إنما كرهوا مثل هذا المذهب ، فأما نفسُ حسن البيان فليس يذمه إلا من عجز عنه ، ومن ذم البيان مدح العيَّ وكفى بذلك جهلا وخبالا

ولخالد بن صفوان في الجبن المأكول كلام ذهب فيه شبيهاً بهذا المذهب

ورجع طاوس عن مجاس محمد بن يوسف — وهو يومئذ والي اليمن — فقال : ماظننت أن قول « سبحان الله » يكون معصية لله حتى كان اليوم ، سمعت رجلا أبلغ ابنَ يوسف عن رجل كلاماً ، فقال له رجل في المجاس « سبحان الله » كالمستعظم لذلك الكلام ، فغضب بنُ يوسف

قال أبو الحسن وغيره : دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك — وكان دميما — فلما رآه قال : على رجل أجرَّكَ رَسَنَكَ وسلّطَكَ على المسلمين لعنة لله . فقال : ياأمير المؤمنين ، انك رأيتني والامرُ عني مدبر ، ولو رأيتني والأمر عليَّ مقبل لاستعظمتَ من أمري ما استصغرت . فقال سليمان : أفترى الحجاجَ بلغ قعر جهنم بعدُ ؟ فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، يجيء الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، قابضاً على يمين أبيك وشمال أخيك ، فضعه من النار حيث شئت .

وذكر يزيد بن المهلب يزيد بن أبي مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم ، وهمّ أن يستكفيه مُهماً من أمره ،فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ألا أدلك على من هو أزهد فى الدينار والدرهم منه ، وهو شر الخلق ؟ قال : بلى . قال : ابليس .

وقال أُسَيْلِم بن الاحنف للوليد بن عبد الملك قبل أن يستخلف : أصلح الله الامير ، اذا ظننت ظناً فلا تحققه ، واذا سألت الرجال فسلهم عما تعلم ، فاذا رأوا سرعة فهمك لما تعلم ظنوا بك ذلك فيما لاتعلم . وذس من يسأل لك عما لاتعلم .

وكان أُسَيْلِم بن الأحنف الاسدى ذا بيان وأدب وعقل وجاه ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

ألا أيُّهَا الرَّكْبُ المخِبُّونَ هَلْ لَكُمْ ... بِسَيِّدِ أهْلِ الشَّامِ تُحْبُوا وَتَرْجِعُوا

أُسَيْلِمُ ذَاكُمْ لاَ خَفَا بِمَكَانِهِ ... لِعَيْنٍ تَدَجَّا أوْ لِأُذْنٍ تَسَمَّعُ

مِنَ النَّفَرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا ... وَهَابَ الرِّجَالُ حَلْقَةَ الْبَابِ قَعْقَعُوا

جَلاَ الأَذْفَرُ الأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَوْقَهُ ... وَطِيبُ الدهَانِ رَأْسَهُ فَهْوَ أَنْزَعُ

إِذَا النَّفَرُ السُّودُ الْيَمَانُونَ حَاوَلُوا ... لَهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أَرَقُّوا وَأَوْسَعُوا

وهذا الشعر من أشعار الحفظ والمذاكرة

الهيثم بن عدى قال:قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك بعدما استخلف، فأمرهم بشتم الحجاج فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم : ان عدوّ الله الحجاج كان عبداً زَبَّاباً ، قَنوَّر بن قَنوَّر ، لانسب له فى العرب . قال سليمان : أى شتم هذا ؟ ان عدو الله الحجاج كتب الى : انما أنت نقطة من مداد . فان رأيت فىّ مارأى أبوك وأخوك كنتُ لك كما كنت لهما . والا فانا الحجاج وأنت النقطة ، فان شئتُ محوتك وان شئتُ أثبتك . فالعنوه لعنه الله . فاقبل الناس يلعنونه . فقام ابن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى فقال : ياأمير المؤمنين . إنا نخبرك عن عدو الله بعلم . قال : هات . قال : كان عدو الله يتزين تزين المومسة . ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار . فاذا نزل عمل عمل الفراعنة . وأكذب فى حديثه من الدجال . فقال

سليمان لرجاء بن حيوة : هذا وأبيك الشتم . لا ما تأتى به السفلة .

وعن عوانة قال : قطع ناس من عمرو بن تميم وحنظلة على الحجاج بن يوسف، فكتب اليهم : من الحجاج بن يوسف ، أما بعد فانكم استخلصتم الفتنة ، فلا عن حق تقاتلون ، ولا عن منكر تنهون . وأيم الله ، انى لاهم أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلى خيل تنسف الطارف والتالد ، وتدع النساء أيامى ، والابناء يتامى ، والديار خرابا ، والسواد بياضا . فأيما رفقة مرت بأهل ماء فأهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير الى الماء الذى يليه ، تقدمة منى اليكم ، والسعيد من وُعظ بغيره والسلام

مسلمة بن محارب قال : كان الحجاج يقول : أخطبُ الناس صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، اذا شاء خطب ، واذا شاء سكت .

يعنى الحسن . يقول : انه لم ينصب نفسه للخطب

ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية في شأن يزيد وفيهم الاحنف قام رجل من حمير فقال : انا لا نطيق أقواه الكمال ، يريد الجمال ـ عليهم المقال ، وعلينا الفعال.

وهذا من الحميرى يدل على تشادق خطباء زمانه

سفيان بن عيينة قال : قال ابن عباس : اذا ترك العالم قولَ لا أدرى أصيبت مقاتله . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : من قال: لا أدرى. فقد أحرز نصف العلم لان الذى له على نفسه هذه القوة فقد دلنا على جودة التثبت وكثرة الطلب وقوة المنة

وقيل للمسيح بن مريم صلوات الله عليه : من نجالس ؟ قال : من يزيد فى علمكم منطقه ، وتذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم فى الآخرة عمله . ومر المسيح بقوم يبكون فقال : ما لهؤلاء يبكون ؟ قالوا : يخافون ذنوبهم. قال : اتركوها يغفر لكم :

قال الوصافى دخل الهيثم بن الاسود بن العريان — وكان شاعراً خطيبا — على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف نجدك ؟ قال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود ، وأسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولان منى ما كنت أحب أن يشتد . ثم أنشد:

إِسْمَعْ أُنَبِّئْكَ بِآيَاتِ الْكِبَرْ ... نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسُعَالٌ بِالسَّحَرْ

وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرْ ... وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرْ

وَسُرْعَةَ الطَّرْفِ وَتَحْمِيجَ النَّظَرْ وَحَذَراً أَزْدَادُهُ إِلَى حَذَرْ
وَتَرْكِيَ الْحَسْنَاءَ فِي قَبْلِ الطُّهُرْ وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا يَبْلَى الشَّجَرْ

وقالوا : مروا الاحداث بالمراء، والكهول بالفكر . وقال عبد الله بن الحسين: المراء رائد الغضب . فاخزى الله عقلا يأتيك به الغضب .

وقالوا : أربعة تشتد معاشرتهم : الرجل المتوانى ، والرجل العالم ، والفرس المرح، والملك الشديد المملكة . وقال غاز أبو مجاهد يعارضه : أربعة تشتد مؤنتهم: النديم المعربد ، والجليس الاحمق ، والمغنى التائه ، والسفلة اذ نفروا .

وقال أبو ثمر الغسانى : أقبل على فلان باللحظ واللفظ . وما الكلام الازجر أو وعيد .

« قال عمير بن الحباب — وروى ذلك عنه مسعر — ما أغرت على حى فى الجاهلية أحزم امرأة ولا أعجز رجلا من كلب ، وأحزم رجلا وأعجز امرأة من تغلب . وقامت امرأة من تغلب إلى الجحاف بن حكيم ـ حين أوقع بالبشر فقتل الرجال وبقر بطون النساء ـ فقالت له : فض الله فاك ، وأصمك وأعماك ، وأطال سهادك ، وأقل رقادك . فوالله إن قتلت الا نساء أسافلهن دُمى . وأعاليهن ثدى . فقال الجحاف لمن حوله : لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها . فبلغ ذلك الحسن فقال: إنما الجحاف جذوة من نار جهنم .

وكان عامر بن الظرب العدوانى حكيما وكان خطيباً رئيساً ، وهو القائل: يامعشر عدوان ، إن الخير ألوف عزوف ، ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه . وانى لم أكن حكيماً حتى اتبعتُ الحكماء ، ولم أك سيدكم حتى تعبدت لكم .

وقال أعشي بنى شيبان :

وَلاَ أَنَا فِي أَمْرِي وَلاَ فِي خَلِيقَتِي بِمُهْتَضَمٍ حَقِّي وَلاَ قَارِعٍ سِنِّي
وَلاَ مُسْلِمٍ مَوْلاَيَ مِنْ شَرِّ مَا جَنَى وَلاَ خَائِفٍ مَوْلاَيَ مِنْ شَرِّ مَا أَجْنَى
وَإِنَّ فُؤَاداً بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالِمٌ بِمَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي وَمَا سَمِعَتْ أُذْنِي
وَفَضَّلَنِي فِي الْقَوْلِ وَالشِّعْرِ أَنَّنِي أَقُولُ بِمَا أَهْوَى وَأَعْرِفُ مَا أَعْنَى

وقال رجل من ولد العباس : ليس ينبغي للقرشي أن يستغرق في شيء من العلم الا علم الاخبار . فأما غير ذلك فالنتف والشذر من القول .

وقال آخر :

وَصَافِيَةٍ تُعْشِي الْعُيُونَ رَقِيقَةٍ ... رَهِينَةِ عَامٍ فِي الدِّنَانِ وَعَامِ

أَدَرْنَا بِهَا الْكَأْسَ الرَّوِيَّةَ بَيْنَنَا ... مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ كُلَّ ظَلَامَ

فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى كَأَنَّنَا ... مِنَ الْعِيِّ نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامَ

ومر رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد وهو يقرأ كتاب سيبويه فقال : أف لكم ، علم المؤدبين وهمة المحتاجين ؛ وقال ابن عتاب : يكون الرجل نحوياً عروضياً ، وقساماً فرضياً ، وحسن الكتابة جيد الحساب ، حافظاً للقرآن ، راوية للشعر ، وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهما ، ولو أن رجلا كان حسن البيان ، حسن التخريج للمعانى . ليس عنده غير ذلك ، لم يرض بألف درهم .

لأن النحوى الذى لا إمتاع عنده كالنجار الذى يدعى ليعلق باباً وهو أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له انصرف . وصاحب الامتاع يراد فى الحالات كلها .

وقال عبد الله بن يزيد السفيانى : عوّد نفسك الصبر على جليس السوء فانه لا يكاد يخطئك . وقال سهل بن عبد العزيز : من ثقل عليك بنفسه ، وغمك فى سؤاله ، فألزمه أذنا صماء ، وعينا عمياء . سهيل بن أبى صالح عن أبيه قال : كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا قال : اللهم اغفر له وأرحنا منه . وقال ابن أبى أمية : شهدت الرقاشى فى مجلس وكان الى بغيضاً مقيتا

فَقَالَ اقْتَرِحْ كُلَّ مَا تَشْتَهِي ... فَقُلْتُ اقْتَرَحْتُ عَلَيْكَ السُّكُوتَا

وقال ابن عباس : العلم أكثر من أن يحصى ، فخذوا من كل شيء أحسنه .

المدائنى عن العباس بن عامر قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر ابن عبد العزيز رحمه الله أخته فقال : الحمد لله رب العزة والكبرياء . وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد فقد أحسن بك ظناً من أودعك حرمته ، واختارك ولم يختر

عليك . وقد زوجناك على ما في كتاب الله . إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ باحسان .

وخطب أعرابي وأعجله القول وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد فقال : الحمد لله غير ملال لذكر الله . ولا إيثار غيره عليه : ثم ابتدأ القول في حاجته

وسأل أعرابي ناساً فقال : جعل الله حظكم في الخير ، ولا جعل حظ السائل منكم عذرة صادقة .

وكتب ابرهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال ، كثير الدخل ، كثير النض ، إما مستسلفاً وإما سائلا ، فكتب اليه الرجل : العيال كثير ، والدين ثقيل ، والدخل قليل ، والمال مكذوب عليه . فكتب اليه ابرهيم : إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وان كنت محجوجاً فجعلك الله محذورا .

وقال الشاعر :

لَعَلَّ مُفِيدَاتِ الزَّمَانِ يُفِدْنَنِي ... بَنِي صَامِتٍ فِي غَيرِ شَيءٍ يَضِيرُهَا

وقال أعرابي : اللهم لا تنزلني ماء سوء فاكون إمرأ سوء . وقال أعرابي : اللهم قني عثرات الكرام . وسمع مجاشع الربعي رجلا يقول : الشحيح أعذر من الظالم . فقال : أخزى الله شيئين خيرهما الشح :

وأنشدنا أبو فروة :

إني مَدَحْتُكَ كاذِباً فأَنَبْتَنِي ... لَمَا مَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِب

وأنشد علي بن معاذ :

تَالَبَنِي عَمْرٌو وَثَالَبْتُهُ ... فَأَثِمَ الْمَثْلُوبُ وَالثَّالِبُ

قُلْتُ لَهُ خَيْراً وَقَالَ الْخَنَا ... كُلٌّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبْ

أبو معشر قال : لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو ابن سعيد قام خطيباً فقال : إن أبا ذبان قتل لطيمَ الشيطان ، كذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون .

ولما جلس عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على المنبر قال : يا أيها الناس ، إن الله قد فتح عليكم أفريقية ، وقد بعث إليكم ابنُ أبي سرح عبدَ الله بن الزبير

بالفتح : قم يا ابن الزبير . قال : فقمت وخطبت ، فلما نزلت قال : يا أيها الناس ، أنكحوا النساء على آبائهن وأخوانهن ، فانى لم أر لأبى بكر الصديق ولداً أشبه به من هذا .

وقال الجرمى :

أَعْدَدْتُهُ ذُخْراً لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وَسَهْمُ المَنَايَا بِالذَّخَائِرِ مُولَعُ

وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالادب والخطب :

وَمُسَوِّمٍ لِلْمَوْتِ يَرْكَبُ دِرْعَهُ بَيْنَ القَوَاضِبِ وَالقَنَا الخَطَّارِ
يَدْنُو وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ شِلْوٌ تَنَشَّبَ فِي مَخَالِبِ ضَارِ
فَثَوَى صَرِيعاً وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ إِنَّ الشُّرَاةَ قَصِيرَةُ الأَعْمَارِ
أُدَبَاءُ إِمَّا جِئْتَهُمْ خُطَبَاءُ ضُمَّنَاءُ كُلِّ كَتِيبَةٍ جَرَّارِ

ولما خطب «سفيان بن الابرد» الاصم الكلبى ، فبلغ فى الترغيب والترهيب المبالغ ، ورأى «عبد الله بن هلال اليشكرى» أن ذلك قد فت أعضاد أصحابه أنشأ يقول :

لَعَمْرِى لَقَدْ قَامَ الأَصَمُّ بِخُطْبَةٍ لَهَا فِي صُدُورِ المُسْلِمِينَ غَلِيلُ
لَعَمْرِى لَئِنْ أَعْطَيْتُ سُفْيَانَ بَيْعَتِى وَفَارَقْتُ دِينِي إِنَّنِى لَجَهُولُ

فت فى عضدى : أى غرنى وخوفنى .

وقال أحد الخطباء الذين تكلموا عند الاسكندر ميتا : كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس . فاخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال :

بَكَيْتُكَ يَاعَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِى فَلَمْ يُغْنِ البُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيّا
كَفَى حُزْناً بِدَفْنِكَ ثُمَّ إِنِّى نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّا
وَكَانَتْ فِى حَيَاتِكَ لِى عِظَاتٌ وَأَنْتَ اليَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيّا

ومن الاسجاع الحسنة قول الاعرابية لابنها حين خاصمته الى عامل الماء : أما

كان بطنى لك وعاء ؟ أما كان حجرى لك فناء ؟ أما كان ثدىى لك سقاء ؟ فقال ابنها : أصبحت خطيبة ، رضى الله تعالى عنك .

لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته

وقال النمر بن تولب :

وَقَالَتْ أَلاَ فَاسْمَعْ لِلفْظِي وَخُطْبَتِي فَقُلْتُ سَمِعْنَا فَانْطِقِي وَأَصِيبِي
فَلَمْ تنطقِي حَقًّا وَلستِ بِأَهلِهِ فَقبحتِ مِنْ قَائلٍ وخطيبِ

وقال أبو عياد كاتب أبى خالد : ماجلس أحد قط بين يدىَّ إلا تمثل لى أنى سأجلس بين يديه .

قال الله عز وجل «وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا» ليس يريد بلاغة اللسان، وان كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد الا بالبلاغة

وكانت خطبة قريش فى الجاهلية ـ يعنى خطبة النساء ـ : باسمك اللهم. ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف . باسمك اللهم . لك ماسألت ولنا ما أعطيت .

ولما مات عبدُ الملك بن مروان صعد المنبر الوليد ابنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لم أر مثلها مصيبة ، ولم أر مثلها ثوابا : موت أمير المؤمنين ، والخلافة بعده . إنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة ، والحمد لله على النعمة . انهضوا فبايعوا على بركة الله رحمكم الله . فقام اليه عبد الله بن همام فقال :

اللهُ أعطاكَ التى لَا فَوْقَهَا وَقدْ أرَادَ المُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ وَيأبَى اللهُ إلا سَوْقَهَا إِلَيكَ حَتى قلدُوكَ طَوْقَهَا

فبايع الناس

وقيل لعمرو بن العاص فى مرضه الذى مات فيه : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أذوب ولا أثوب ، وأجد نجوى اكثر من رُزئى ، فما بقاء الشيخ على ذلك ؟

وقيل لاعرابى كانت به أمراض عدة : كيف تجدك ؟ قال : أما الذى يعمدنى فحصر وأسر .

وقال مقاتل : سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط فقال : يا أهل العراق ،

يا أهل السبق والسباق، ومكارم الاخلاق ، ان أهل الشام فى أفواههم لقمة دسمة قد رتبت لها الاشداق ، وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال ، فالبسوا لهم جلود النمور

انتهى الجزء الأول و يتلوه الجزء الثانى
وأوله « استدراك وتكميل لترجمة الجاحظ »

فهرس الجزء الاول

من كتاب البيان والتبيين

	صفحة
الجاحظ : ترجمته	٢
نسبه وكنيته	
مقامه ومنزلته	
مولده ومنشأوه	
معارفه	٣
صحبته بابن الزيات	
هو وابن أبى دؤاد	
مذهبه فى الاعتزال	٤
مما ثلبه به خصومه	٥
رأيه فى الخليل بن احمد	٧
من آراء العافين فيه	
شيء من أخباره ونوادره	٨
نخب من رسائله الخاصة	١١
نبذ من شعره	١٥
مرضه وما قيل فى سببه	
مؤلفاته	١٨
فاتحة الكتاب	٢١
فتنة القول وفتنة العمل ، والاستعاذة منهما . ومن السلاطة والهزر ، والعى والحصر	
النمر بن تولب : ترجمته	
ابو العيال الهذلى : ترجمته	
بشار بن برد : ترجمته	٢٢
أحيحة بن الجلاح : ترجمته	٢٣
حميد بن ثور الهلالى : ترجمته	٢٤
سحبان وائل : ترجمته	
بزرجمهر بن البختكان : قوله فى وسائل ستر العى	٢٥

	صفحة
موسى عليه السلام وعقدة لسانه	
وصف العرب برجاحة الاحلام و بلاغة المنطق وصحة العقول وشاهد القرآن على ذلك	٢٦
أفنون التغلبى : ترجمته	
الضيافة وآدابها عند العرب	٢٧
حاتم الطائى : ترجمته	
عمرو بن الاهتم : ترجمته	
رجع الى وصف العرب وقوة لسنهم . وفرق ما بين مضرة السلاطة والهزر ، والعى والحصر	٢٨
فى ان المتشدق المتقعر أعذر من العى يتكلف الخطابة	٢٩
الكلام على واصل بن عطاء ولثغته وقوة بيانه	٣٠
واصل بن عطاء : ترجمته	
اللثغة بالراء وضروبها	٣١
هجو بشار لواصل بن عطاء	
تفضيل بشار النار على الطين . وكلمة واصل فى بشار	
اعجاب عمر الشمرى باقتدار واصل على تجنب الراء فى كلامه .	٣٢
فرق ما بين البر والقمح والحنطة ، لغة	
المتنخل الهذلى : ترجمته	
أمية بن أبى الصلت : ترجمته	
عبد الله بن جدعان : ترجمته	
يتكلم أهل الامصار بلغة النازلة فيهم من العرب	٣٣

صفحة

فرق ما بين لغة أهل مكة ولغة أهل البصرة ٣٣
العامة وحظ الالفاظ والاشعار والرجال عندهم من الشهرة ٣٤
ابن القرية : ترجمته
ماجاء فى تلقيب واصل بالغزال ٣٥
خالد بن صفوان : ترجمته ٣٦
أقوال الشعراء فى اقتدار واصل على تجنب الراء ومنهم بشار ٣٧
عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة: ترجمته
قصيدة صفوان الانصارى الرائية فى الانتصار لواصل وذم بشار
قصيدة صفوان الدالية في وصف الارض وما فى جوفها من صنوف المعادن وكرائم الاحجار ٣٩
دِيصاد الجوسى : ترجمته ٤٠
هجو حماد عجرد وغيره لبشار واخوته ٤١
ليلى الناعطية : ترجمتها
حماد عجرد : ترجمته
أبيات لسليمان بن الوليد الشاعر فى كرم خصال الارض ٤٢
ابيات لبعض الخلفاء فى التندر بابليس
قصيدة صفوان الدالية الثانية فى فضل الطين على النار ٤٣
شبيب بن شيبة : ترجمته
الاباضية : فرقة من فرق الخوارج
الحروف التى تدخلها اللثغة ٤٤
الكلام على خطباء إياد ٤٩
قس بن ساعدة الايادى : ترجمته ٥٠
قيط بن معبد الايادى : ترجمته

صفحة

قول أبى دؤاد الايادى فى صفة الخطباء ٥١
الخطباء الشعراء
متانة الصداقة مع الاختلاف في المذهب ٥٢
عمران بن حطان : ترجمته
خطباء الامصار وشعراؤهم ٥٣
المطبوعون على الشعر من المولدين ٥٤
العتابى أول من أفتن فى البديع بعد بشار
بشار شيخ المبدعين ٥٥
سهل بن هرون : ترجمته
خمة بنت حابس : تصحيح اسمها
خصائص إياد وتميم دون العرب ٥٦
الاحنف بن قيس وعيوبه الجسمية ٥٧
بعض آفات اللسان ٥٨
عبد الملك بن مروان أول من شد أسنانه بالذهب ٦٠
نزع الزنجى ثناياه
تباين الألفاظ ٦٣
تباين الحروف ٦٤
تقليد أصوات البهائم ٦٥
اللكن من المشاهير وغيرهم ٦٦
باب البيان ٦٨
المعانى والالفاظ
الاشارة ٦٩
العقد ٧١
الحال أو النصبة
قول مأثور فى صدق الكلام ٧٣
التحذير من سريان معانى السفلة الى الاذهان ومن مجالستهم ٧٤

	صفحة
البلاغة عند الفرس والروم والهند	٧٥
قول جامع لسهل بن مروان فى فرق ما بين الخطيب والخطيب من حيث الهيئة	٧٦
ابو اسحق ابرهيم النظام . ترجمته	٧٧
وصف البلاغة والبليغ فى صحيفة هندية	٧٩
حق المعنى على اللفظ	
قول لابرهيم بن هانى الخليع فى مايلزم لبعض الناس من الآلات لتمام حالاتهم فى التأثير	٨٠
العمانى الراجز بين يدى الرشيد	
خطباء عبد القيس وفصحاؤهم	٨١
باب ذكر ناس من البلغاء المكثرين الخ	٨٢
كلام عن إياس بن معاوية وغيره	
النخار العذرى النسابة : ترجمته	٨٥
توقيعات جعفر بن يحيى وتوقيعات أم جعفر	٨٦
جودة الابتداء ، وجودة القطع	٨٩
البلاغة عند العتابى الشاعر	٩٠
قول عمرو بن عبيد فى البلاغة	
قول ابن المقفع فى البلاغة	٩١
رأى اعرابى فى الجمال	٩٤
قول فتى نصرانى لابن فهريز الجاثليق	٩٦
شبيب بن يزيد الخارجى : ترجمته	٩٩
خلف الاحمر : ترجمته	
الخزيمى الشاعر : ترجمته	١٠١
على بن الهيثم الكاتب : ترجمته	
كلام لبشر بن المعتمر ، وترجمته	١٠٤
أمثل طرق البلاغة عند الكتاب	١٠٥

	صفحة
تتمة كلام بشر	١٠٦
اصطلاحات العلوم واستعمالها فى الخطب	١٠٧
اصطلاحات العلوم وملح الشعراء	١٠٨
العمانى : ترجمته	١٠٨
يزيد بن مفرغ : ترجمته	١٠٩
طبقات كلام الناس	١١٠
ألذ الكلام كلام الاعراب	١١١
لحن الجوارى واستملاح الجاحظ له	١١١
تخطئة الجاحظ فى استجازة اللحن من الجوارى	١١٢
الامام أبو حنيفة : ترجمته	١١٣
أبو عمرو بن العلاء : ترجمته	١١٦
أبو خراش الهذلى : ترجمته	١١٧
الاخطل : ترجمته	١١٩
العتابى : ترجمته	١٢١
الحسن البصرى : ترجمته	١٢٣
أبو زيد الانصارى : ترجمته	
الكسائى : ترجمته	١٢٤
باب ماقالوا فى مدح اللسان الخ	١٢٥
سويد بن ابى كاهل : ترجمته	...
جرير : ترجمته	...
طول اللسان	١٢٧
باب فى ذكر اللسان	١٢٨
الفرزدق : ترجمته	...
أبو زبيد الطائى : ترجمته	١٣٠
تعظيم العرب للقيان ولقيم	١٣٦
أبو الطمحان القينى : ترجمته	١٣٨
ابن سيرين : ترجمته	١٤٢
باب الصمت	١٤٣
خالد بن خداش : ترجمته	...

	صفحة
الاحنف بن قيس : ترجمته	١٤٥
حث الجاحظ على التماس البيان والتبيين	١٤٧
صالح بن عبد القدوس : ترجمته	١٥٠
كلمة لهوميروس الشاعر اليونانى	...
باب القول فى النوافى الظاهرة الخ	١٥٢
باب آخر	١٥٣
عمرو بن معد يكرب : ترجمته	١٥٤
باب آخر	١٥٨
باب آخر	١٦١
باب آخر من الشعر	١٦٣
الهوى اله معبود	١٦٦
باب النوك والعى والحمق	١٧١
باب فى ذكر المعلمين	١٧٣
باب آخر	١٧٤
قطرب النحوى : ترجمته	١٧٥
باب آخر	١٧٦
باب من الخطب القصار	١٧٧
كلام عبد الملك فى الرعيه	١٨٢
حمزة بن بيض : ترجمته	١٨٣
باب ماقالوا فيه من الحديث الحسن الخ	١٨٧
القطامى : ترجمته	١٩٠
باب آخر من الاسجاع في الكلام	١٩٢

	صفحة
خطباء البصرة	١٩٧
باب اسجاع	١٩٨
خطبة للنبى	٢٠١
باب أسماء الخطباء والبلغاء الخ	٢٠٢
الخطباء النسابون	٢٠٨
منزلة شعر الفرزدق	٢١٠
عبيد الله بن زياد بن ظبيان	٢١٢
خالد بن يزيد بن معاوية	٢١٣
خطباء بنى هاشم	٢١٦
منزلة المستشار	٢١٩
خطباء بن ضبة	٢٢٠
خطباء الخوارج وعلماؤهم	٢٢١
قائمة الطعام	٢٢٢
أخطب الناس	٢٢٣
ومن خطباء الخوارج وعلمائهم	٢٢٤
أسماء خطب العرب	٢٢٥
ومن خطباء العرب	٢٢٦
باب ذكر النساك والزهاد	٢٣٢
ذكر القصاص	٢٣٤
ماقيل فى المخاصر والعصى	٢٣٥
أثر السيف يمحو أثر الكلام	٢٤٦
الفهرس	٢٥٨
تنبيه ورجاء	٢٦٢

تنبيه ورجاء

وقع أثناء الطبع بعض الخطأ المرجو من القارىء الكريم اصلاحه قبل المضى فى القراءة

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٦	فنون	فنونه
١٠	٧	الحقبرة	الحفيرة
١٨	٢٢	امرا	امرأ
١٦	١٩	عبد الله	عبدان
١٨	٢٣	فقليل	فقيل
٣١	٧	وقد ذكر	وقد ذكره
٠٠	١١	غزّالاً	غزّالاً
٣٧	١٦	شيطانه	لشيطانه
٤١	١٦	واختبارا	واختيارا
٤٦	٢٦	ذاك	ذات
٥٦	٢٣	تميم	تميم
٥٧	١٩	الضحم	الضجم
٦١	١	جمعيا	جميعا
٦٣	١٣	انشاء	إنشاد
٦٦	٣	السين	العين
٧٠	٦	غَنى	غِنًى
٧٢	٢	من أنهارك	من شق أنهارك
٧٧	٧	لوثيق	ألوثيق
٧٩	١٨	تهمة	النهمة
٨٢	٣	صولجان	صوحان
٨٥	٢٦	دخل معاوية	دخل على معاوية
٨٦	٢٤	من كلمة	كلمة
٨٦	٢٤	الصيحة	الصحيحة
٨٧	١٥	العبزى	العنبرى
٩٢	٢٣	لى	الى
٩٤	٢٢	الى بنى مخزوم بنى مخزوم	الى بنى مخزوم
١٠١	١٨	ماتك	مات

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٠٢	٢٤	كثير	كثير
١١٠	١٠	قال زعم	فان زعم
١١٠	١٢	والمتفهق	والمتفيهق
١١٧	٢	أمر	أمرىء
١٢٧	٢٣	درام	دارم
١٢٨	١	على	أعلى
١٢٨	٢٣	يكن	يكنى
١٢٩	٧	بألسنهم	بألسنتهم
١٣٠	١٩	وقوة المسنة	وقوة المنة
١٣٣	٧	نرار	نزار
١٣٣	١٩	عررة	عروة
١٣٧	٦	وقع	فوقع
١٤٨	١٨	تجاهد	تجدها
١٤٩	٥	بن سلمى	بن أبى سُلمى
١٥٠	٢٧	الدا به لولدد	الولد بعد الولد
١٥١	١٩	يجمعها	يجمعهما
١٧٢	١١	امر	امرأ
١٧٥	٢٤	أى	أن
١٨٣	١٨	تراقش	براقش
١٨٩	٩	واحد	واحدها
١٩٠	٢٤	لدن شاب	لدن شب
٢٠١	١٨	ونفيل عبدالعزى	ونفيل بن عبد العزى
...	٢٢	النسابة البكرى	والنسابة البكرى
٢٠٤	١٩	وزرى	وأزرى
٢٠٨	٢٣	وعمر	وعمرو
٢٣٠	١٨	اخفتم	خفتم
٢٣٩	١٨	ماشاء	ماأشاء

وهناك غير ماذكر قليل مما لايخفى على فطنة القارىء